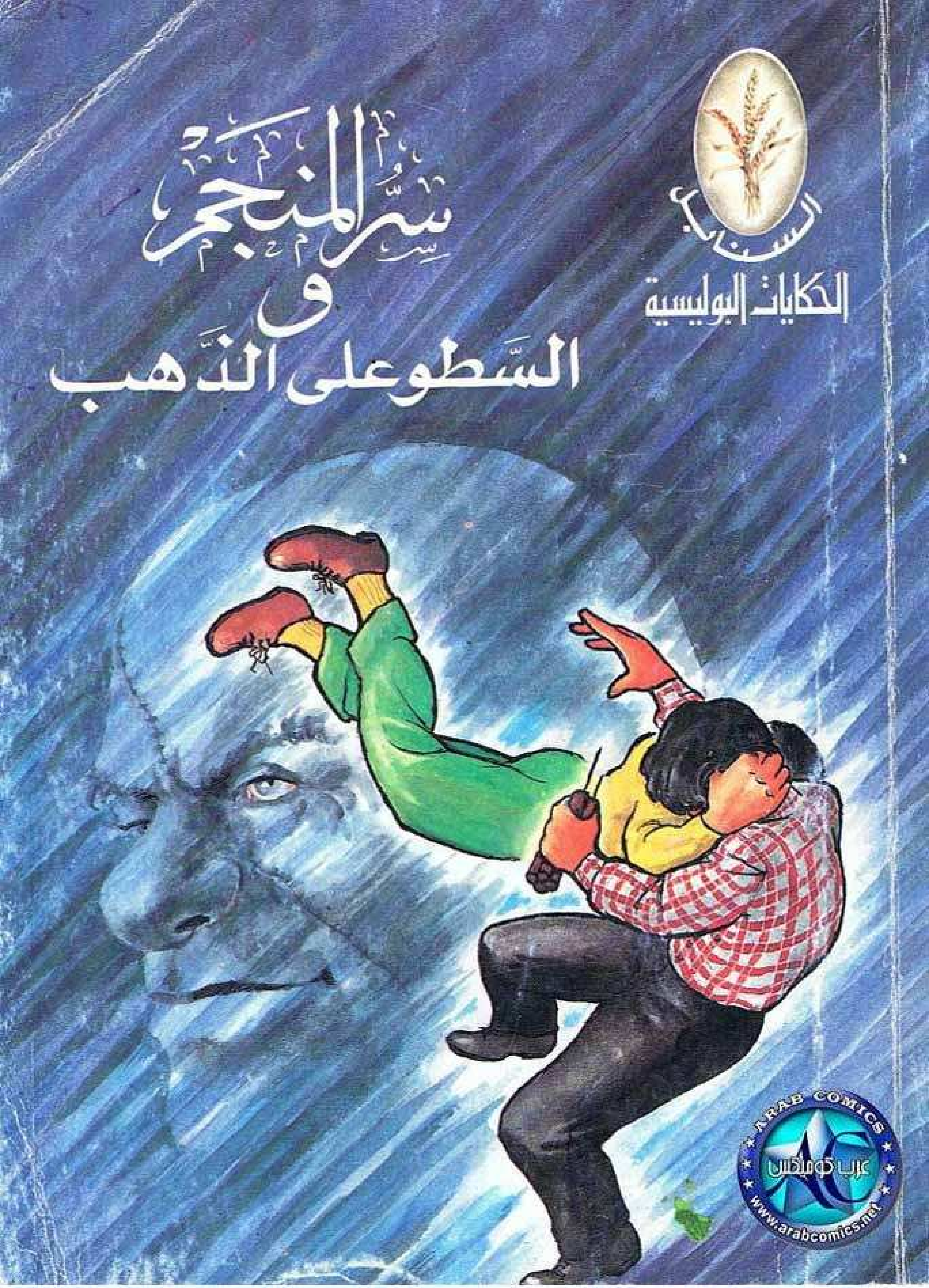


السنابل
الحكايات البوليسية
سر المنجم
و
السطو على الذهب
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٦٠٥ / ١٩٩٢

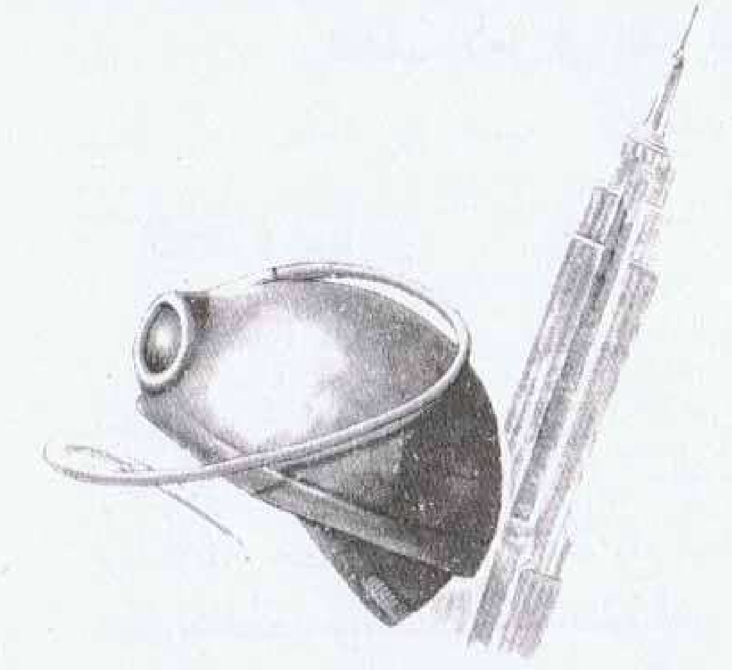
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ – ١٦ – ٠١٠١ – ٦

طبع في دار نوبار للطباعة



الحكايات البوليسية

سر المنجم و السطو على الذهب



تأليف : ريتشارد موسمان

أعدها بالعربية : عزت فهيم صالح

رسوم : جوزيف حكيم جرجس

مكتبة لبنان

انْفِجارٌ بِمَنْجَم فحْم في ويلز

ضَعْفُ الأمل في إنقاذ مَنْ فيهِ

الثُّلاثاء ٤ أبريل

في العاشِرَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ صباحِ هَذا اليَوْمِ حَدَثَ انْفِجارٌ في مَنْطِقَةِ (يو ٤) بِمَنجَمِ فَحْمِ ريداخ ، غلامورغان . وَقَدْ نُقِلَ عَشَرَةُ رِجالٍ إلى المُسْتَشْفى ، مِنهُمْ اثْنانِ في حالَةٍ خطِرَةٍ ، وَقَدْ أَخرجَتْ فِرْقَةُ الإنْقاذِ جُثَثَ ثَلاثَةِ رِجالٍ . وَقَدْ وَقَعَ الحادِثُ أَثْناءَ زِيارَةِ مُفَتِّشِ الحُكومَةِ السَّيِّدِ جون هينغز ، وَمَعَهُ السَّيِّدُ أيڤور إيڤانز مُديرُ المَنْجَمِ .

وَلَمْ تَتمكَّنْ فِرَقُ الإنْقاذِ مِنْ أنْ تَصِلَ بَعْدُ إلى السَّيِّدِ هيمنغز وَالسَّيِّدِ إيڤانز ، وَاثْنَيْنِ وَأَرْبَعينَ آخَرينَ مِنْ رِجالِ المَنْجَمِ . وَيَعْتَقِدُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّهُ رُبَّما فاتَ أوانُ إنْقاذِهِمْ .

لَمْ يَكُنْ الانْفِجارُ الَّذي أدّى إلى الانْهيارِ الصَّخْرِيِّ الأَوَّلِ

كَبيراً ، وَلَكِنْ ساعَدَ عَلى هَوْلِ الانْهيارِ ، الصُّخورُ المُتَساقِطَةُ في المَمَرِّ الرَّئيسِيِّ ، الَّتي أجْبَرَتْ فِرْقَةَ الإنْقاذِ عَلى التَّقَهْقُرِ ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَغْلَقَ الانْفِجارُ الثّاني الطَّريقَ الآخَرَ إلى المَنْجَمِ تَماماً .

وَمُعْظَمُ الاثْنَيْنِ وَالأَرْبَعينَ رَجُلاً كانوا وَقْتَ الحادِثِ أمامَ المَنْجَمِ ، عَلى حينِ كانَ كُلٌّ مِنَ السَّيِّدِ هيمنغز والسَّيِّدِ إيڤانز عَلى مَبْعَدَةِ أمْتارٍ مَعْدوداتٍ . وَقالَ الرَّجُلُ الَّذي نَجا مِنْ الانْهيارِ الأَوَّلِ : « لَقَدْ رَأيْتُ السَّيِّدَ إيڤانز يَدْفَعُ السَّيِّدَ هيمنغز إلى الخَلْفِ ، ثُمَّ غَطَّتِ المَكانَ سَحابَةٌ كَثيفَةٌ مِنَ الغُبارِ ، وَلَمْ أعُدْ أرى شَيْئاً ، وَأَخَذَ السَّطْحُ يَتَداعى ، وَكانَ لا بُدَّ مِن أنْ أَنْجُوَ بِحَياتي . »

وَيُعْتَبَرُ هَذا أوَّلَ حادِثٍ مُرَوِّعٍ يَقَعُ في مَنْجَمِ فَحْمٍ بِويلْز مُنْذُ عِشْرينَ عاماً . وَكانَ مَنْجَمُ ريداخ دائماً آمِناً تَماماً ، وَهُوَ مَنْجَمٌ قَديمٌ ، افْتُتِحَ عامَ ١٩٠٣ ، وَلَكِنَّ كُلَّ آلاتِهِ حَديثَةٌ .

وَقَدْ قامَتْ هَيْئَةُ مَناجِمِ الفَحْمِ بِإغْلاقِ عَدَدٍ مِنْ مَناجِمِ وِيلْز ، وَكانَتْ بِصَدَدِ إغْلاقِ مَنْجَمِ رِيداخ ، مِمّا أَغْضَبَ العُمّالَ في الوادي . وَقَدْ قوبِلَ السَّيِّدُ هيمنغز بِفُتورٍ لَدى وُصولِهِ هَذا الصَّباحَ .

وَفي الحَقيقَةِ كانَ النّاسُ في ريداخ يَطْرَحونَ أَسْئِلَةً غَيْرَ مَقْبولَةٍ . وَقَد ضَرَبَ أحَدُ عُمّالِ المَنْجَمِ مُراسِلاً صَحَفِيًّا ، قالَ بِأَنَّ الانْفِجارَ

رُبَّما لَمْ يكُنْ نَتيجَةَ حادِثٍ .

وَاليَوْمَ كُلُّ أهالي المَدينَةِ يُجْمِعونَ عَلى أمْرٍ واحِدٍ ؛ وَهُوَ إنْقاذُ الرِّجالِ المُحاصَرين ، دونَ أنْ تَبْهَرَهُمْ شَجاعَةُ فَريقِ الإنْقاذِ ، مَعَ العَمَلِ عَلى أنْ يَظَلَّ سَبَبُ الانفِجارِ سِرًّا . وَلَم تُظْهِرْ مَصابيحُ رِجالِ المَنجَمِ أيَّ أثَرٍ لِبُقَعٍ غازِيَّةٍ في الطَّريقِ .

وَسَأَلَ مَندوبُنا سِكِرتيرَ المَنْجَمِ — السَّيِّدَ غوين دافيز ، عَمّا إذا كانَتْ فِرَقُ الإنْقاذِ تَأمُلُ في إنْقاذِ الرِّجالِ المُحاصَرين ؛ فَرَدَّ قائِلاً : « إنَّ الرِّجالَ لَدَيْهِمْ مِنَ الهَواءِ ما يَكْفيهِمْ لِثَلاثَةِ أيّامٍ وَرُبَّما أرْبَعَةٍ ، وَلَكِنْ لِكَيْ نَشُقَّ طَريقًا إلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ أقَلَّ مِنْ أسْبوعٍ . وَسَوْفَ نُواصِلُ المُحاوَلَةَ ، وَلَكِنْ لا نَسْتَطيعُ أنْ نَعِدَ بِالوُصولِ إلَيْهِمْ في الوَقْتِ المُناسِبِ ! »

وَثَمَّةَ عَدَدٌ مِنَ المَمرّاتِ الجانِبيَّةِ بَيْنَ المَنْجَمِ وَالصُّخورِ المُنْهارَةِ ، وَلَكِنَّها سُدَّتْ خِلالَ العِشْرينَ سَنَةً الماضِيَةِ . وَلا يوجَدُ سِوى مَمَرٍّ واحِدٍ إلى هؤُلاءِ الرِّجالِ خِلالَ الصُّخورِ وَالأتْرِبَةِ الَّتي تَعْتَرِضُ المَمَرَّ الرَّئيسِيَّ .

سِرُّ المَنْجَم

الفَصل الأول

كانَ جو بروك في زِيارَةٍ لأفريقْيا ، وَقَدْ عادَ لِتَوِّهِ ذَلِكَ المَساءَ ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ طائِرَةً خاصَّةً استَأجَرَها لَهُ دِك كليغ رَئيسُهُ بِالجَريدَةِ الَّتي يَعْمَلُ بِها ، لِتَطيرَ بِهِ إلى كارديف ، حَيْثُ كانَتْ ثَمَّةَ سَيّارَةٌ في انْتِظارِهِ .

وَكانَ الطَّقْسُ في المَساءِ بارِدًا وَالسَّماءُ صافِيَةً ، وَالشَّوارِعُ تَعِجُّ بِالنّاسِ العائِدينَ إلى مَنازِلِهِمْ . وَطالَعَ جو أعْمِدَةَ الصُّحُفِ المَسائِيَّةِ ، وَقَدْ تَصَدَّرَتْها آخِرُ الأنْباءِ : انْفِجارٌ في مَنْجَمٍ . وَ وَقَفَ النّاسُ يَقْرَءُونَ الصَّفْحَةَ الأولى .

وَصَلَ جو إلى بَلْدَةِ ريداخ في السّاعة السّابِعَةِ ، وَرَغْمَ أنَّ الظَّلامَ كانَ سائِدًا ، إلّا أنَّ مِئاتِ النّاسِ كانوا عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَوّابَةِ

المَنْجَمِ ، وَقَدْ وَقفوا ساكِنينَ تماماً بِجوارِ الحائطِ المُنْخفِضِ ، المُحيطِ بِمباني المَنْجمِ . وَكانوا يَرْقُبون فِرقَ الإنْقاذِ وَهِيَ تَخْرُجُ لِتتزوَّدَ بِالهَواءِ الطَّلْقِ ، عَلى حينِ كانَتْ مَجْموعاتٌ أخْرى تَنْتَظِرُ في قَلَقٍ عِنْدَ المَدْخَلِ الرَّئيسِيِّ .

وَيَقَعُ المَنْجَمُ أسْفَلَ وادٍ سَحيقٍ ، وَتَقومُ على جَوانِبِه مَنازِلُ ريداخ في صُفوفٍ عَلى سُفوحِ التَّلِّ . وريداخ هِيَ البَلْدَةُ الأخيرَةُ بِالوادي، تَليها بِقَليلٍ تِلالُ جَنوبِ وِيلز المُوحِشَةُ . وَاسْتَطاعَ جو أنْ يَرى أشْجاراً على مَرْمى البَصَرِ . وَارْتَفَعَ فَوْقَ أرْضِ الوادي كَوْمٌ مِنَ الفَحْمِ الأسْوَدِ كَجَبَلٍ . وَكانَ الكَوْمُ عالِياً وَأسْوَدَ لِدَرجَةٍ لَمْ يَتَمكَّنْ جو معها لأوَّلِ وَهْلَةٍ مِنْ رُؤْيَةِ بُرْجَي الرَّفْعِ الضَّخْمَيْنِ . وَكانَتْ عَجَلَةُ أحَدِهِما تَدورُ رافِعَةً القَفَصَ . تُرى مَنْ كانَ بِداخِلِه ؟ فَريقُ الإنْقاذِ أمْ بَعضُ رِجالِ المَنْجَمِ المُحاصَرينَ ؟

وَبَدأَتِ النِّساءُ في الطَّريقِ يَتَحدَّثْنَ حينَ خَرَجَ الرِّجالُ مِنَ القَفَصِ ، وَكانَتْ وُجوهُهُمْ سَوْداءَ مُغَبَّرَةً بِتُرابِ الفَحْمِ . وَكانَ بَعْضُهُمْ يَمْشي بِصُعوبَةٍ ، عَلى حينَ خَرَجَ رَجُلٌ مَحْمولاً على نَقّالَةٍ . وَنَظَرَ رِفاقُهُ إلى النِّساءِ ، وَهَزّوا رُءوسَهُمْ ، فَأمْسَكْنَ عَنِ الحَديثِ .

وَاتَّجَهَ جو إلى امْرَأةٍ شابَّةٍ كانَتْ تَقِفُ بِمُفْرَدِها ، وَقَبْلَ أن يَهِمَّ بِالحَديثِ إلَيْها ، بادَرَتْهُ قائِلَةً :

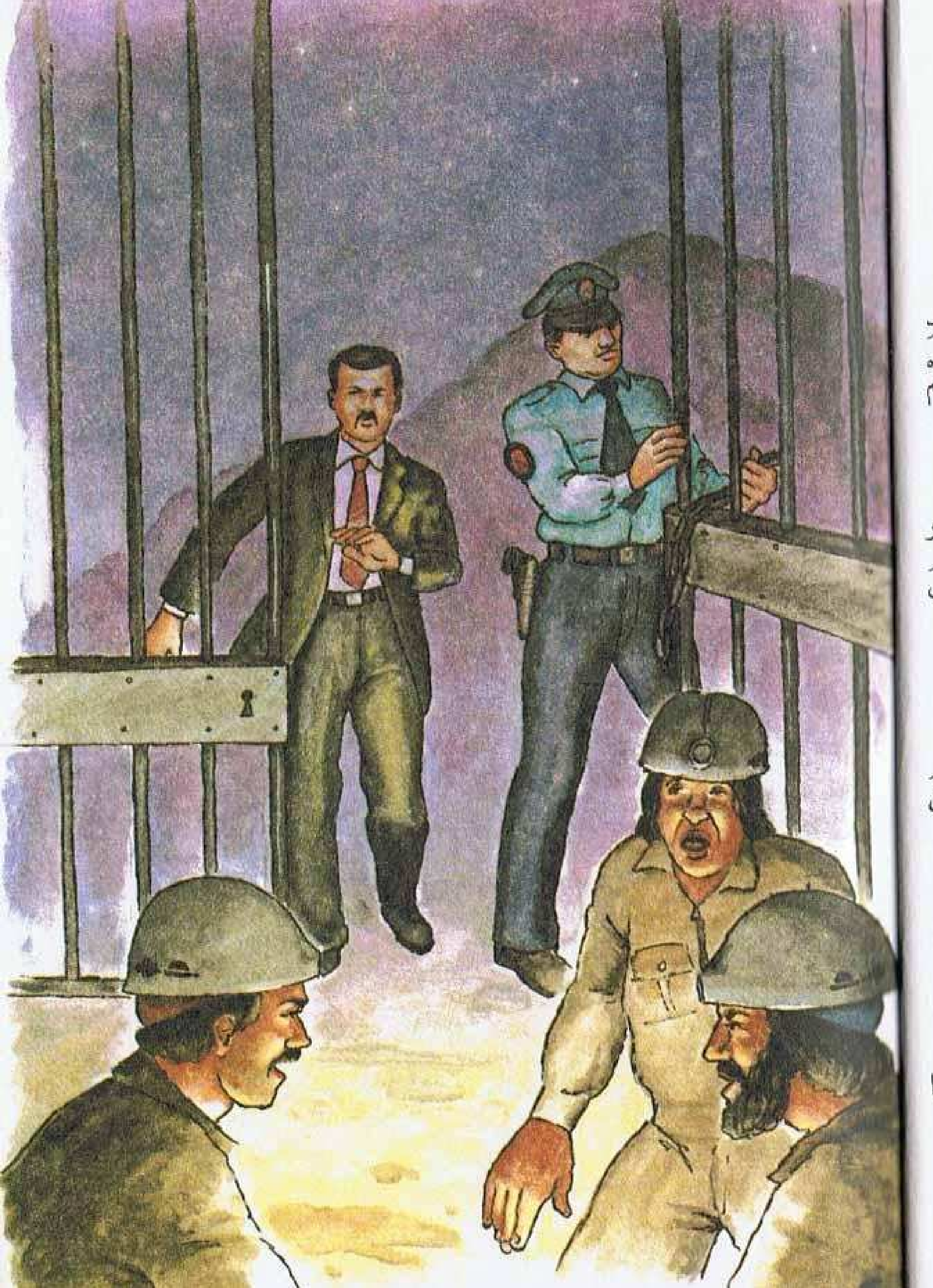
« إنَّكَ غَريبٌ عَنِ المكان ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ وَلِهَذا فَأنْتَ لا تَعْرِفُ . كُلُّ الرِّجالِ المُحاصرينَ يَعيشونَ في هَذِهِ المَدينَةِ ، وَعَشَرَةٌ مِنْهُمْ يُقيمونَ في شارِعٍ واحِدٍ .»

سَألَها جو : « وَ زَوْجُكِ ؟»

« إنَّهُ عَلى ما يُرامُ .»

وَكانَتِ المَرْأةُ تَتَحَدَّثُ بِمَرارَةٍ ، مِمّا جَعَلَ جو يَنْظُرُ إلَيْها مُتَعَجِّباً . وَأرْدفَتِ المَرْأةُ سَريعاً :

« لَقَدْ تَمَكَّنَ مِنَ النَّجاةِ ، وَلَكِنَّ أخي داي لا يَزالُ مُحاصَراً في المَنْجمِ . وَالفَتاةُ الَّتي تَقِفُ بِالقُرْبِ مِنَ الحائطِ هِيَ زَوْجَةُ قائِدِ الفِرْقَةِ الَّتي بِها داي . وَهُما يَعيشانِ في شارِعِنا ، وَقَدْ أنْجَبا طِفْلاً مُنْذُ شَهْرٍ . هَلْ تَرى ذَلِكَ الرَّجُلَ المُسِنَّ الَّذي يَقِفُ بِجانِبِها ؟ إنَّهُ يُقيمُ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الشّارِعِ المُواجِهِ لَنا ، وَقَدْ قُتِلَ ابْنُهُ في الحَرْبِ . وَالآنَ فَإنَّ ابنَهُ الأكْبَرَ قَدْ ماتَ أيْضاً ، وَأخْرِجَتْ جُثَّتُهُ في الصَّباحِ . وَإذا لَمْ تَسْتَطِعِ الفِرْقَةُ إنْقاذَ الرِّجالِ المَحْبوسينَ ، فَسَوْفَ



يكونُ هُناكَ مئةُ طِفْلٍ يَتيمٍ في هَذِهِ المَدينَةِ .»

وَمَضى جو إلى البَوّابَةِ الرَّئيسِيَّةِ ، وَسَمَحَ لَهُ الشُّرْطِيُّ بِالدُّخولِ .

وَجَلَسَ عَدَدٌ مِنَ الرِّجالِ يَسْتَريحونَ بِالقُرْبِ مِنْ خَطِّ حَديدِ عَرَباتِ الشَّحْنِ ، وَهُمْ لا يَزالونَ يَرْتَدونَ خوذاتِهِمْ ، وَقَدْ نَسِيَ أَحَدُهُمْ أَنْ يُطْفِئَ مِصْباحَهُ .

وَتَصَبَّبَ العَرَقُ أَنْهاراً عَلى بَشَرَةِ الرِّجالِ السَّوْداءِ . وَ وَقَفَ جو وَقَدَّمَ لَهُمُ السَّجائِرَ ، وَسَأَلَهُمْ : « لَقَدْ خَرَجْتُمْ لِتَوِّكُمْ ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَ أَحَدُهُمْ وَقَدْ غَطّى تُرابُ الفَحْمِ وَجْهَهُ : « أَجَلْ .»

قالَ رَجُلٌ آخَرُ : « هَذا هُوَ كليف وِلْيامز ، وَقَدْ كانَ هُناكَ حينَ وَقَعَ الحادِثُ ، وَقَدْ جُرِحَ .»

قالَ كليف وِلْيامز : « فَقَطْ جُرْحٌ صَغيرٌ بِقَدَمي .»

سَأَلَهُ جو : « وَلِماذا عُدْتَ ثانِيَةً إلى المَنْجَمِ ؟»

رَدَّ كليف في نَبْرَةٍ غاضِبَةٍ : « لأَنَّ رِفاقي لا يَزالونَ هُناكَ ! هَذا هُوَ السَّبَبُ !»

سَأَلَهُ جو : « هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَحْكِيَ لي عَنِ الحادِثِ ؟»

رَمَقَهُ كليف بِنَظْرَةٍ غَيْرِ وُدِّيَّةٍ ، وقالَ : « أَنْتَ مُخْبِرٌ صَحَفِيٌّ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

أَجابَ جو : « بَلى ، أنا جو بروك .»

قال كليف : « جو بروك مَنْدوبُ الدّيلي نيوز ؟ ما دُمْتَ كَذَلِكَ فالأَمْرُ يَخْتَلِفُ . سَوْفَ أَقُصُّ عَلَيْكَ : كُنْتُ هذا الصَّباحَ أنا وَزَميلٌ لي نَقومُ بِإِصْلاحِ آلَةٍ في مَنْطِقَةِ يو (٥) . وَفي العاشِرَةِ وَالرُّبْعِ تَوَقَّفْنا لِنَتَناوَلَ بَعْضَ الطَّعامِ . وَفَجْأَةً سَمِعْنا صَوْتًا أَشْبَهَ بِصَوْتِ انْفِجارٍ عَلى مَبْعَدَةٍ مِنّا . وَلَمْ نَقْلَقْ ، وَخَطَرَ لَنا أَنَّهُ آتٍ مِنْ مَنْجَمِ الفَحْمِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ المُتَفَجِّراتِ تُسْتَخْدَمُ هُناكَ لِتَحْطيمِ طَبَقاتِ الفَحْمِ . وَلَكِنْ بَعْدَ لَحَظاتٍ أَحْسَسْنا بِانْدِفاعِ الهَواءِ ، وَرَأَيْنا سَحابَةً سَميكَةً مِنَ الغُبارِ . وَحَضَرَ غُلامٌ وَأَخْبَرَنا أَنَّ حادِثًا وَقَعَ في المَمَرِّ الرَّئيسِيِّ بِمَنْطِقَةِ يو (٤) ، وَقالَ : ‹‹ أَرْجو أَنْ تُسْرِعا لِلنَّجْدَةِ ، وَأَحْضِرا مَعَكُما نَقّالَةً !›› »

وَتَوَقَّفَ كليف عَنِ الحَديثِ ، وَأَشْعَلَ سيجارَةً أُخْرى ، ثُمَّ أَكْمَلَ حَديثَهُ قائِلًا :

« أَخَذْنا النَّقّالَةَ وَذَهَبْنا مُباشَرَةً إِلى المَمَرِّ الرَّئيسِيِّ . كانَ السَّطْحُ قَدْ هَوى ، وَ وَجَدْنا جُثَّةَ فَتًى مُلْقاةً بَيْنَ قُضْبانِ شاحِنَةِ الفَحْمِ ، عَلى بُعْدِ خُطُواتٍ قَليلَةٍ مِنَ الصُّخورِ المُنْهارَةِ ، وَقَدْ سَقَطَتْ صَخْرَةٌ عَلى مُؤَخِّرَةِ رَأْسِهِ . وَضَعْناهُ عَلى النَّقّالَةِ ، وَمَشَيْنا نَحْوَ عِشْرينَ مِتْرًا قَبْلَ أَنْ يَصيحَ رَفيقي قائِلًا : ‹‹ إِنَّ السَّطْحَ يَتَحَرَّكُ !›› وَنَظَرْتُ خَلْفي فَرَأَيْتُ أَقْواسَ الصُّلْبِ وَهِيَ تَميلُ . وَأَنْزَلْنا النَّقّالَةَ وَعَدَوْنا لِلنَّجاةِ بِحَياتِنا . وَلِحُسْنِ الحَظِّ أَنَّنا كُنّا عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ أَحَدِ المَمَرّاتِ الجانِبِيَّةِ حينَ سَقَطَ السَّطْحُ . وَعَدَوْنا ، وَانْبَطَحْنا عَلى الأَرْضِ ، وَكانَتِ الصُّخورُ المُتَساقِطَةُ وَالتُّرابُ تُلامِسُ أَقْدامَنا . وَلِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ كانَ الغُبارُ كَثيفًا لِدَرَجَةٍ لَمْ يُمْكِنْ مَعَها رُؤْيَةُ شَيْءٍ عَلى الإِطْلاقِ . وَلَقَدِ اعْتَقَدْنا أَنَّ المَمَرَّ الجانِبِيَّ قَدْ سُدَّ تَمامًا ، وَأَنَّنا صِرْنا مُحاصَرينَ . وَاجْتَزْنا الصُّخورَ المُنْهارَةَ حَتّى وَصَلْنا إِلى خُطوطِ شاحِنَةِ الفَحْمِ . وَكانَ الغُبارُ كَثيفًا مِمّا جَعَلَنا نَتَنَفَّسُ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ . وَتَحَرَّكْنا شِبْرًا شِبْرًا مَعَ خُطوطِ الشّاحِنَةِ ، حَتّى عَثَرَتْ عَلَيْنا فِرْقَةُ الإِنْقاذِ .»

وَفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ نادى طَبيبٌ : « تَعالَ هُنا ، يا كليف ، أُريدُ أَنْ أَفْحَصَ رِجْلَكَ .»

صاحَ كليف : « إنَّها بِخيرٍ ،أيُّها الطَّبيبُ .»

وَذَهبَ إليْهِ ، جو وَكانَتِ النَّقّالاتُ وَعَرَباتُ الإنْقاذِ والأطِبّاء ، وَعَرَباتُ هَيْئَةِ الفحْمِ الوَطَنيَّةِ ، تَقِفُ جَميعُها في صُفوفٍ بِالقُرْبِ مِنَ الأبْراجِ .

وَ وَسْطَ الضَّجَّةِ سَمِعَ جو صَوْتًا يَقولُ : « هَل أنْتَ جو بروك ؟ لَقَدْ رَأيْتُ صورَتَكَ كَثيراً في جَريدَةِ النّيوز .»

وَالْتَفَتَ جو لِيَرى رَجُلاً ضَئيلاً ذا وَجْهٍ نَحيلٍ يَنِمُّ عَنِ الذَّكاءِ .

قالَ الرَّجُلُ : « أنا غوين داڤيز سِكِرْتيرُ المَنْجَمِ ، وَسأكونُ جِدَّ سَعيدٍ لَوْ تَحَدَّثْنا مَعًا على انْفِرادٍ .»

قالَ جو بِدَهْشَةٍ : « بِالتَّأكيدِ !»

وَتبِعَ جو غوين داڤيز صاعِداً بِضْعَ دَرَجاتٍ إلى مَكْتَبِ المُديرِ . وَكانَتْ ثَمَّةَ مِنْضَدَةٌ طَويلَةٌ شَغَلَتْ وَسَطَ الغُرْفَةِ ، وَغَطَّتْها الأوراقُ . وَكانَ الجَوُّ حارًّا . وَمِنْ خِلالِ بابٍ يُؤدّي إلى دَوْرَةِ المِياهِ ، سَمِعَ جو صَوْتَ المِياهِ المُتَدفِّقَةِ . وَقادَ غوين داڤيز جو إلى حُجْرَةٍ صَغيرَةٍ ، ثُمَّ أغْلَقَ البابَ .

وَبَدأ غوين الحديثَ قائِلاً : « سَيِّدُ بروك ، أنتَ تَعلَمُ أنّنا نُعاني

بَعْضَ المَتاعِبِ مَعَ مُراسِلي الصُّحُفِ .»

قالَ جو : « أسْتَطيعُ أن أعِدَكَ ، يا سَيِّدُ داڤيز ...»

وَرفَعَ غوين يَدَهُ مُقاطِعاً : « أعْرِفُ أنَّكَ مُخْتَلِفٌ عَنِ الآخرينَ ، يا سَيِّدُ بروك . إنَّني لَمْ أستَدْعِكَ هُنا لِكَيْ أشْكُوَ ، ولَكِنْ لِكَيْ أطْلُبَ مَعونَتَكَ .»

وَجلَسَ الاثْنانِ . وَبَيْنَما كانَ جو يَحْشو غَليونَهُ ، لاحَظَ نَظْرَةَ قَلَقٍ تُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْ غوين داڤيز .

وَبَدأ ديڤيز يَقولُ : « بَدأتُ العَمَلَ في هَذهِ المَناجِمِ وَأنا في سِنِّ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ، وَكانَ ذَلِكَ في الثَّلاثينيّاتِ ، وَكانَتِ الحَياةُ شاقَّةً في تِلْكَ الأيّامِ ، حَيْثُ لا توجَدُ آلاتُ قَطْعٍ ، فَكُنْتُ أسْتعيضُ عَنْ ذَلِكَ بِمِعْوَلٍ . وكُنْتُ لا أسْتَطيعُ الحَرَكَةَ إلّا زَحْفًا على يَدَيَّ وَرُكْبَتَيَّ ؛ حَيْثُ إنَّ سَقْفَ المَمَرّاتِ داخِلَ المَنْجَمِ كانَ مُنْخَفِضاً لِلْغايَةِ . وَكانَ والِدي يَعْمَلُ أيْضاً بِالمَنْجَمِ ، وَيَتَقاضى أجْراً زَهيداً لِدَرَجَةِ أنَّ عائِلَتَهُ كانَتْ لا تَجِدُ أحْياناً ما تَقْتاتُهُ . وَماتَ وَهُوَ في رَيْعانِ الشَّبابِ .

سَألَ جو : « لِماذا تَقُصُّ عَلَيَّ كُلَّ ذَلِكَ ؟»

رَدَّ غوين : « لأنَّ مُعْظَمَ النّاسِ لَيْسَتْ لَدَيْهِمْ أدْنى فِكْرَةٍ عَنْ حَياةِ

عاملِ المَنْجَمِ . حقيقَةٌ أنَّ تِلْكَ الأيَّامَ البائِسَةَ قَدْ وَلَّتْ ؛ فَالأجورُ اليَوْمَ لا بَأسَ بِها ، وَلَمْ يَعُدِ العُمَّالُ يَسْتَخْدِمونَ المَعاوِلَ ، وَلا يَعودونَ إلى مَنازِلِهِمْ لِيَأخُذوا حَمّامَهُمْ في طَسْتٍ أوْ دَلْوٍ صَغيرٍ بِحُجْرَةِ المَعيشَةِ . وَأصْبَحوا يَسيرونَ في الشَّوارِعِ بَعْدَ خُروجِهِمْ مِنْ حَمّاماتِ المَنْجَمِ في نَظافَةٍ تامَّةٍ ، لا تَقِلُّ عَنْ نَظافَتِكَ الآنَ ، وَلَكِنَّ حَياتَهُمْ لا تَزالُ قاسِيَةً وَخَطيرَةً .»

وَتَوَقَّفَ غوين داڤيز عَنِ الحَديثِ فَجْأةً ، وَحَدَّقَ إلى عَيْنَيْ جو ، ثُمَّ عادَ يَقولُ :

« هَلْ تَدْهَشُ ، يا سَيِّدُ بروك ، إذا ما عَرَّضَ عامِلُ مَنْجَمٍ حَياةَ زُمَلائِهِ لِخَطَرٍ مُحَقَّقٍ ، مِنْ خِلالِ عَمَلٍ تَخْريبِيٍّ ؟»

رَدَّ جو : « بِكُلِّ تَأكيدٍ ! إذاً ، فَأنْتَ تَرى أنَّ الصُّحُفَ كانَتْ عَلى حَقٍّ ؟ هَلْ تَعْتَقِدُ أنَّهُ عَمَلٌ تَخْريبِيٌّ ؟»

رَدَّ غوين داڤيز : « كُنْتُ أوَدُّ أنْ يَكونَ رَدّي بِالنَّفْيِ ؛ فَعُمّالُ المَنْجَمِ يَكونونَ إخْوَةً حينَ يَكونونَ تَحْتَ الأرْضِ . وَكَثيراً ما يُضَحّونَ بِحَياتِهِمْ مِنْ أجْلِ إنْقاذِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً . وَالَّذينَ لا يَتَحَدَّثونَ مَعَ بَعْضِهِمْ فَوْقَ الأرْضِ ، يَكونونَ أصْدِقاءَ داخِلَ المَنْجَمِ .»

« هَلْ تَعْرِفُ السَّبَبَ ؟»

رَدَّ غوين : « إنَّ هَيْئَةَ المَناجِمِ الوَطَنِيَّةَ تُزْمِعُ غَلْقَ المَنْجَمِ ؛ فَتَمَلَّكَ الرِّجالَ القَلَقُ ؛ فَهُمْ مُرْتَبِطونَ بِأسَرِهِمْ ، يا سَيِّدُ بروك ، وَغَدَوْا في خَوْفٍ مِنْ أنْ يُضْطَرّوا إلى تَرْكِ الوادي . وَلَكِنَّ في ريداخ أسْباباً أخْرى لِلْقَلَقِ المُتَزايِدِ ، فَهُناكَ مُثيرو القَلاقِلِ في المَنْجَمِ .»

سَألَ جو : « هَلْ تَعْتَقِدُ أنَّ هَذا الرَّجُلَ وَراءَ الانْفِجارِ ؟»

« لا أعْلَمُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ أقْرَبَ رَجُلٍ مِنَ الانْفِجارِ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَطاعَ الهَرَبَ . وَإذا اسْتَطَعْنا أنْ نُنْقِذَ أحَداً مِنَ الرِّجالِ المَحْبوسينَ بِالمَنْجَمِ ، فَرُبَّما نَصِلُ إلى الوَقائِعِ الصَّحيحَةِ . شَيْءٌ واحِدٌ مُؤَكَّدٌ ، هُوَ أنَّ الشُّرْطَةَ سَوْفَ تَقومُ بِالتَّحْقيقِ .»

سَألَ جو : « وَكَيْفَ أسْتَطيعُ أنْ أساعِدَكَ ؟»

« قُمْ بِزِيارَةِ الرَّجُلِ وَتَحَدَّثْ إلَيْهِ ، وَحاوِلْ أنْ تَكْتَشِفَ الحَقيقَةَ ؛ فَإنَّكَ قادِرٌ عَلى اسْتِدْراجِهِ في الحَديثِ أكْثَرَ مِمّا يَسْتَطيعُهُ رِجالُ الشُّرْطَةِ . سَوْفَ يُرَحِّبُ بِالحَديثِ إلى جو بروك العَظيمِ ، وَتِلْكَ طَبيعَةُ ذَلِكَ الصِّنْفِ مِنَ الرِّجالِ . سَيُلَفِّقُ لَكَ مَجْموعَةً مِنَ

الأكاذيبِ ، وَخاصَّةً عَنْ مديرِهِ أيڤور إيڤانز . وَهُوَ لا يَنْحَدِرُ مِنْ عائِلَةٍ تَعْمَلُ بِالمَناجِمِ ؛ فَأبوهُ صاحِبُ مَحَلٍّ في كارديف ، وَلَكِنَّهُ مُتَزَوِّجٌ بِابْنَةِ عامِلِ مَنْجَمٍ ، وَقَدْ تَبَنَّوْا صَبِيًّا مُهَذَّبًا في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ .»

وَكَتَبَ غوين ديڤيز الاسْمَ وَالعُنْوانَ التّالِيَيْنِ في قُصاصَةِ وَرَقٍ : « غاريث مورجان – ٤ طَريق كيفن كُويد » .

وَأضافَ غوين : « إنِّي لَواثِقٌ بِأنَّكَ لَنْ تَذْكُرَ لأحَدٍ كَلِمَةً مِمّا دارَ بَيْنَنا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِكُلِّ ما أعْرِفُ عَنْ مورغان . وَأنْتَ تَرى أنّي أعْرِفُ عَنْهُ الكَثيرَ ، بِاعْتِباري سِكِرِتيرًا لأيڤور ، وَلا أحَدَ يَسْتَطيعُ فَهْمَ غاريث مورغان أفْضَلَ مِنْ أيڤور إيڤانز نَفْسِهِ .»

الفصل الثاني

أخَذَ جو يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، عَلى حينِ كانَ غوين يَرْوي لَهُ قِصَّةَ غاريث مورغان ؛ فَغاريث بِالرَّغْمِ مِنْ ذَكائِهِ كانَ مُثيرًا لِلقَلاقِلِ بِالمَدْرَسَةِ الأوَّلِيَّةِ . وَكانَ الأوَّلَ على فَصْلِهِ دائِمًا ، وَلَكِنَّ المُدَرِّسينَ لَمْ يَكونوا يُحِبّونَهُ لِعَدَمِ الْتِزامِهِ بِالأوامِرِ ، وَعَدَمِ اعْتِقادِهِ بِصَوابِ القَوانينِ وَالأحْكامِ . وَقَدْ جَعَلَتْهُ قُوَّتُهُ عاتِيًا يَهابُهُ الأطْفالُ ، وَيَكْرَهُهُ مُعْظَمُ التَّلاميذِ الكِبارِ . وَلَكِنَّ مَجْموعَةً صَغيرَةً مِنَ الصِّبْيَةِ قَبِلَتْهُ زَعيمًا لَها .

وَقَدْ أثارَ غاريث وَمَجْموعَتُهُ القَلاقِلَ في المَدْرَسَةِ وَالمَدينَةِ ؛ فَحَطَّموا النَّوافِذَ وَأخْفَوُا الدَّرّاجاتِ وَالسَّيّاراتِ . وَأمْسَكَتِ الشُّرْطَةُ بَعْضًا مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّها لَمْ تُمْسِكْ قَطُّ بِغاريث ؛ فَقَدْ كانَ في مُنْتَهى

الحَيْطَةِ وَالحَذَرِ .

وَعِنْدَما تَرَكَ غاريث المَدْرَسَةَ ؛ كانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أنَّهُ سَيَسيرُ في طَريقِ جَمْعِ المالِ ، وَلَكِنَّهُ أدْهَشَ الجَميعَ بِعَمَلِهِ في المَناجِمِ .

وَأجْمَعَ العامِلونَ في المَناجِمِ ، الشَّبابُ وَالكِبارُ ، عَلى عَدَمِ حُبِّهِ عَلى الإطْلاقِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُمُ الغَضَبُ حَقيقَةً حينَ تَزَوَّجَ لين ابْنَةَ توم جونز ، الَّذي كانَ مَثارَ احْتِرامِ كُلِّ شَخْصٍ في مِنْطَقَةِ مَناجِمِ ريداخ ، إلّا أنَّهُ ما لَبِثَ أنْ تَشاجَرَ مَعَهُ .

وَبَعْدَ بِضْعَةِ أسابيعَ كَوَّنَ غاريث عِصابَةً ، وَضَمَّ إلَيْهِ واحِداً أوِ اثْنَيْنِ مِنْ عُمّالِ المَناجِمِ الَّذينَ لا يُحِبّونَ عَمَلَهُمْ . وَما لَبِثَتِ العِصابَةُ أنْ أحْدَثَتِ القَلاقِلَ وَالمُشاغَباتِ تَحْتَ الأرْضِ وَفي مَدْخَلِ المَنْجَمِ ؛ حَطَّموا شاحِناتِ الفَحْمِ ، وَسَبّوا العُمّالَ . وَ وَجَدَ الرُّؤَساءُ صُعوباتٍ لا حَصْرَ لَها لإيقافِ هَذِهِ المُشاحَناتِ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ حَتّى أيڤور إيڤانز نَفْسُهُ أنْ يُثْبِتَ عَلى غاريث هَذِهِ المُشاغَباتِ . وَكانَ غاريث يَكْرَهُ أيڤور إيڤانز لأنَّهُ الشَّخْصُ الوَحيدُ الَّذي لا يَخْشاهُ في المَنْجَمِ ، كَما كانَ هادِئاً لا يَرْفَعُ صَوْتَهُ

أبَداً . وَأنْهى غوين حَديثَه قائِلاً : « بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أنَّ غاريث بِهِ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ .»

سَألَهُ جو : « هَلْ لَدى مورغان أسْبابٌ أخْرى لِكَراهِيَةِ أيڤور إيڤانز ؟»

رَدَّ غوين : « أجَلْ ، فَأيڤور كانَ موشِكاً عَلى الاسْتِغْناءِ عَنْهُ . وَالآنَ سَأدُلُّكَ عَلى الطَّريقِ إلى مَنْزِلِ مورغان .»

وَخَيَّمَ الظَّلامُ تَماماً حينَ غادَرَ جو مِنْطَقَةَ المَنْجَمِ ، وَ وَدَّعَهُ غوين داڤيز عِنْدَ البَوّابَةِ .

قالَ غوين : « يُمْكِنُكَ إذا أحْبَبْتَ أنْ تُمْضِيَ اللَّيْلَ بِمَنْزِلي .»

وَأعْطى لَهُ عُنْوانَهُ ، وَعادَ لإدارَةِ المَنْجَمِ .

صَعِدَ جو التَّلَّ إلى طَريقِ كيفن كُويد . وَكانَتِ النِّسْوَةُ قَدْ مَضَيْنَ إلى مَنازِلِهِنَّ ، وَالسَّتائِرُ قَدْ أسْدِلَتْ عَلى نَوافِذِ الحُجُراتِ الأمامِيَّةِ ، وَسادَ سُكونٌ مُطْبَقٌ .

وَكيفن كُويد طَريقٌ قَصيرٌ يَنْتَهي عِنْدَ قاعِدَةِ كَوْمَةِ الفَحْمِ ، وَقَدْ لاحَظَ جو ، عَلى ضَوْءِ مِصْباحِ الطَّريقِ الخافِتِ ، أنَّ غُبارَ

الفَحْمِ الأسْوَدَ قَدْ غطّى حوائطَ المَنازِلِ القَليلَةِ ، كَما كانَ طِلاءُ الأبوابِ وَالنَّوافِذِ باهِتاً . وَدَقَّ جو جَرَسَ بابِ المَنْزِلِ رَقْم (٤) .

وَفَتَحَتِ البابَ سَيِّدَةٌ شابَّةٌ ، عَرَفَها جو على الفَوْرِ . كانَتْ نَفْس المَرْأةِ الَّتي تَحَدَّثَتْ إلَيْهِ مِنْ قَبْلُ في المَساءِ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ مورغان في حَوالى الثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها ، وَكانَتْ لا تَزالُ مُحْتَفِظَةً بِحُسْنِها ، وَلكِنَّ وَجْهَها كانَ بادِيَ الإرْهاقِ ، وَالحُزْنُ مُرْتَسِمٌ في عَيْنَيْها .

قالَ جو : « مَساءُ الخَيْرِ . أنْتِ السَّيِّدَةُ مورغان ، أ لَيْس كَذلِكَ ؟ هَلْ زَوْجُكِ بِالدّاخِلِ ؟»

وَقَبْلَ أنْ تُجيبَ صاحَ صَوْتٌ غاضِبٌ : « أنا لا أُريدُ زُوّاراً ! »

قالَ جو بِصَوْتٍ عالٍ : « أنا جو بروك مِنْ صَحيفَةِ الدّيلي نيوز . »

وَعلى الفَوْرِ لاحَ رَجُلٌ على بابِ غُرْفَةِ الاسْتِقْبالِ ، وَقَدْ غَطَّتِ الأرْبِطَةُ رَأسَهُ ، وإنْ بَدا حَسَنَ المَظْهَرِ .

قالَ غاريث مورغان : « تَفَضَّلْ ، يا سَيِّدُ بروك . »

وَدَخَلَ جو حُجْرَةَ الجُلوسِ ، وَتَبِعَتْهُ لين مورغان . وَكانَتِ الحُجْرَةُ

تَحْوي بَعْضَ الأثاثِ الجَيِّدِ ، فَالكَراسِيُّ جَديدَةٌ وَمُريحَةٌ ، وَوُضِعَ مِذْياعٌ حَديثٌ بِجِوارِ حامِلٍ ضَخْمٍ لِلتِّلِيفِزْيونِ ، وَتَأجَّجَتْ نارُ الفَحْمِ في المِدْفَأةِ .

وَعلى أحَدِ الكَراسِيِّ ذاتِ المَساندِ جَلَسَ صَبِيٌّ صَغيرٌ يُحَمْلِقُ إلى نارِ المِدْفَأةِ . وَحينَ وَصَلَ غاريث إلى بابِ الحُجْرَةِ صاحَ في الصَّبِيِّ : « انْهَضْ واتْرُكْ مَقْعَدَكَ لِلأسْتاذِ ، ثُمَّ اذْهَبْ لِلْفِراشِ . »

وَقامَ الصَّبِيُّ سَريعاً ، وَجَرى نَحْوَ البابِ ، وَلَمَسَتْ لين رَأسَهُ بِرِفْقٍ حينَ مَرَّ بِها ، وَتَوَقَّفَ الصَّبِيُّ وَقَبَّلَها .

قالَ غاريث : « إنَّهُ لَيْسَ وَلَدَنا ، فَهُوَ بولَنْدِيٌّ . »

صاحَتْ لين : « جوني هُوَ ابْنُنا ؛ لَقَدْ تَبَنَّيْناهُ . »

ثُمَّ غادَرَتِ الحُجْرَةَ .

وَبَدأ غاريث يَتَحَدَّثُ : « هذا الوَلَدُ مُشْكِلَةٌ لَنا على الدَّوامِ . »

قالَ جو بِسُرْعَةٍ : « لَقَدْ سَمِعْتُ أنَّكَ كُنْتَ قَريباً جِدّاً مِنَ الانْفِجارِ ، يا سَيِّدُ مورغان . آمُلُ أنْ يَكونَ جُرْحُكَ طَفيفاً . »

رَدَّ غاريث : « إنَّهُ فَقَطْ مُؤْلِمٌ ، يا سَيِّدُ بروك . هَذا أَحَدُ المَخاطِرِ الَّتي نَتَعَرَّضُ لَها – نَحْنُ رِجالَ المَناجِمِ .»

وَحَكى غاريث لِجو عَنِ الأشْياءِ الَّتي حَدَثَتْ قَبْلَ وَبَعْدَ الانْفِجارِ ، وَعَلَّقَ عَلَيْها بِنِكاتٍ ضَحِكَ لَها طَويلاً ، وَلاحَظَ أَثَرَها عَلى وَجْهِ جو .

قالَ غاريث : « يَجِبُ أَنْ تَضْحَكَ كَيْلا تَبْكِيَ !»

سَأَلَ جو : « هَلْ تَعْرِفُ سَبَبَ الانْفِجارِ ؟»

رَدَّ غاريث : « أَجَلْ ، إنَّهُ خَطَأُ المُديرِ ، فَالرِّجالُ لا يُطيعونَهُ ، وَلِذا لَمْ يَأْخُذوا الحَيْطَةَ الكافِيَةَ .»

سَأَلَ جو : « أَلا يَروقُكَ السَّيِّدُ إيڤانز ؟»

أَجابَ غاريث : « إنَّهُ مُديرٌ فاشِلٌ . يَجِبُ أَنْ يُطْرَدَ .» وَبَدَتْ عَلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ نَظَراتُ الحِقْدِ .

قالَ جو : « لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ السَّيِّدَ إيڤانز كانَ يُزْمِعُ طَرْدَكَ .»

وَرَمَقَ غاريث جو بِنَظْرَةٍ خاطِفَةٍ ، وَسَأَلَهُ غاضِباً : « مَعَ مَنْ كُنْتَ

تَتَحَدَّثُ ؟»

قالَ جو : « مَعَ رِجالِ المَنْجَمِ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ التَّحَدُّثَ إلى النّاسِ مِهْنَتي .»

وَسَمِعَ جو الصَّبِيَّ وَهُوَ يَبْكي بِالطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَسَمِعَ لين تُحاوِلُ تَهْدِئَتَهُ .

قالَ غاريث مُتَذَمِّراً : « هَذا الصَّبِيُّ يَبْكي كَثيراً .»

سَأَلَهُ جو : « لِمَ تَبَنَّيْتَهُ ؟»

« هَذِهِ فِكْرَةُ لين . قُتِلَ أَبَواهُ في حادِثٍ ، وَكانَ والِدُهُ يَعْمَلُ في نَفْسِ المَنْجَمِ الَّذي يَعْمَلُ بِهِ والِدُ لين .»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَخَلَتْ لين الغُرْفَةَ ، وَقالَتْ غاضِبَةً : « لِماذا أَنْتَ قاسٍ هَكَذا عَلى جوني ؟ إنَّهُ غَيْرُ سَعيدٍ لِحادِثِ المَنْجَمِ مِثْلَنا تَماماً .»

صَرَخَ غاريث : « اهْتَمّي بِشُئونِكِ الخاصَّةِ .»

صاحَتْ : « هَذِهِ شُئوني . أَخي وَرِفاقُهُ ما زالوا في جَوْفِ

المَنْجَمِ . هُمْ جميعاً أصْدِقائي ، وَلٰكِنَّهُمْ لَيْسوا أصْدِقاءَكَ . أَنْتَ لا تَهْتَمُّ حَتّى لَوْ ماتوا جَميعاً ، وَلَمْ تَتَطَوَّعْ حَتّى بِالانْضِمامِ إلى فِرْقَةِ الإنْقاذِ .»

وَهَبَّ غاريث واقِفاً ، وَخُيِّلَ لِجو لِلَحْظَةٍ أَنَّهُ سَيَضْرِبُ زَوْجَتَهُ .

وَصَرَخَ وَهُوَ يُشيرُ إلى رَأْسِهِ : « انْظُرْ !»

قالَتْ لين : « إنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِشَيْءٍ عَلى الإطْلاقِ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ الطَّبيبُ بِفَحْصِكَ . مُجَرَّدُ جُرْحٍ صَغيرٍ ، وَقَدْ طَلَبْتَ مِنّي أَنْ أَضَعَ هٰذِهِ الضِّمادَةَ حَوْلَ رَأْسِكَ .»

فَغَرَ غاريث فاهُ ، وَقَدْ أَفْقَدَهُ غَضَبُهُ القُدْرَةَ عَلى الكَلامِ .

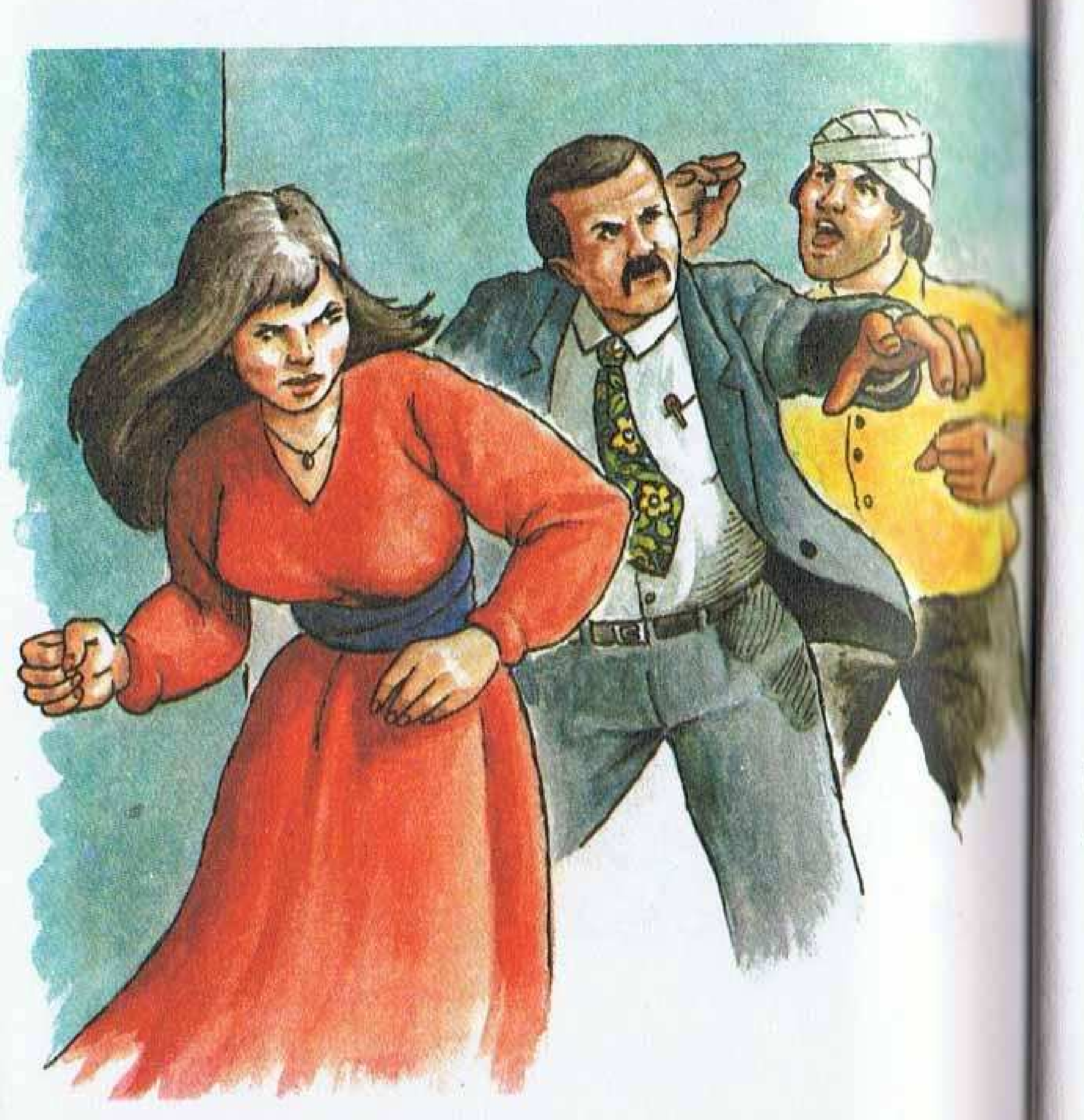
وَأَرْدَفَتْ لين قائِلَةً بِهُدوءٍ : « إنَّكَ تُفَكِّرُ فَقَطْ في السَّيِّدِ إيڤانز ، لأَنَّكَ تُكِنُّ لَهُ الكَراهِيَةَ لِدَرَجَةِ ...»

صَرَخَ غاريث وَقَدِ انْدَفَعَ نَحْوَ زَوْجَتِهِ قائِلاً : « كَفى ! كَفى !»

وَلَمْ تَتَحَرَّكْ لين وَقالَتْ : « أَنْتَ تَتَمَنّى مَوْتَ السَّيِّدِ إيڤانز ، وَأَنا أَتَذَكَّرُ كَلِماتِكَ الَّتي قُلْتَها بِالأَمْسِ ؛ فَقَدْ قُلْتَ : ‹‹ أَتَمَنّى أَلّا يَخْرُجَ حَيّاً مِنَ المَنْجَمِ !››»

وَنَظَرَ غاريث إلى زَوْجَتِهِ وَإلى جو ، ثُمَّ أَخَذَ يُزَمْجِرُ ، وَرَفَعَ يَدَهُ قائِلاً : « سَأَقْتُلُكِ !»

وَقَفَزَ جو وَحالَ بَيْنَهُما .



صاحَ غاريث فيهِ قائِلاً : « اخْرُجْ مِنْ بَيْتي !»

قالَ جو : « لا .»

صاحَ غاريث : « إذًا سَأذْهَبُ أنا ، ثُمَّ أعودُ حينَ تَخْرُجُ .»

وَخرجَ مُهَرْولاً مِنَ الحُجْرَةِ ، وَصفَقَ البابَ الخارِجيَّ خَلْفَهُ .

وَمَضى جو يَقولُ : « إنِّي آسِفٌ ...»

قاطَعَتْهُ لين سَريعاً : « سَأذْهَبُ لأطْمَئِنَّ عَلى جوني ، فَهُوَ يَخافُ غاريث لِدَرَجَةِ أنَّهُ لا يَسْتَطيعُ النَّوْمَ لَيْلاً .»

وَغادَرَتِ الحُجْرَةَ ، ثُمَّ عادَتْ بَعْدَ قَليلٍ قائِلَةً : « لَقَدْ مَضى ! رُبَّما ذَهَبَ إلى مَنْزِلِ أمّي . سَأذْهَبُ لأرى .»

سَألَها جو : « هَلْ أصْحَبُكِ ؟»

قالَتْ : « لا داعِيَ . أشْكُرُكَ . اذْهَبْ فَقَطْ ، وَأرْجو ألا تَرْوِيَ شَيْئًا مِمّا حَدَثَ لأيِّ شَخْصٍ .»

وَتَركا المَنْزِلَ مَعًا . وَمَكَثَ جو في الشّارِعِ حَتّى دَخَلَت لين مَنْزِلَ أمِّها ، ثُمَّ مَضى يَمْشي في الشّارِعِ . وَما كادَ يَقْطَعُ

خُطْوَتَيْنِ ، حَتّى رَأى شَبَحًا صَغيرًا يَخْرُجُ مِنَ الظِّلالِ – وَكانَ جوني ! وَجَذَبَ جوني ذِراعَ جو قائِلاً : « أُريدُ أنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ في غايَةِ الأهَمِّيَّةِ .»

وَتَوَقَّفَ جو ، فَقالَ جوني : « لا ، لَيْسَ هُنا ! فَأبي يَعْتَقِدُ أنِّي في الفِراشِ ، وَلَقَدْ قَفَزْتُ مِنْ نافِذَةِ الحَمّامِ . رَأيْتُهُ يُغادِرُ المَنْزِلَ ، وَلَكِنَّهُ سَيَعودُ لِيَرى ما إذا كُنْتُ قَدْ خَرَجْتُ أوْ لا ، وَسَوْفَ يَأتي لِيَبْحَثَ عَنّي . لا بُدَّ أنْ نُسْرِعَ !» وَأمْسَكَ يَدَ جو وَهُوَ يَقولُ : « تَعالَ مَعي .»

وَذَهَبَ جو مَعَ الصَّبِيِّ إلى نِهايَةِ الطَّريقِ ، ثُمَّ أخَذا يَعْدُوانِ في مَمَرٍّ ضَيِّقٍ . وَصَعِدا التَّلَّ خَلْفَ كَوْمَةِ الفَحْمِ ، وَكانَ القَمَرُ قَدْ بَزَغَ ، فَأمْكَنَ لِجو أنْ يَرى الأشْجارَ عَلى مَرْمى الأُفُقِ .

وَجَرى جو وَالصَّبِيُّ خِلالَ الأشْجارِ عَلى قِمَّةِ التَّلِّ ، حَتّى وَصَلا حافَةَ الوادي التّالي . وَبَدا مَمَرٌّ ضَيِّقٌ يَنْتَهي إلى القاعِ ، حَيْثُ رَأى جو أنْوارَ مَنازِلِ مَدينَةِ مايروغ ، وَهِيَ أصْغَرُ مِساحَةً مِنْ ريداخ .

وَاسْتَمَرَّ جوني في سَيْرِهِ صامِتًا ، وَهَبَطَ مُنْحَدِرًا في المَمَرِّ وَجو يَتْبَعُهُ . وَقادَهُما المَمَرُّ إلى مَنْجَمٍ قَديمٍ انْهارَتْ مُعْظَمُ مَبانيهِ ،

وَسُدَّتْ مداخِلُه ، وَغطَّتْ أَرْضَهُ الصُّخورُ وَقَوالِبُ الطّوبِ وَالفَحْمِ . وَأَلْقَتْ قِطَعُ الحَديدِ وَعَرَباتُ الشَّحْنِ المُحطَّمَةُ ظِلالَها في ضَوْءِ القَمَرِ .

وَ وَصَلا إلى سِياجٍ قَديمٍ مِنَ الطّوبِ ، يَمْتَدُّ إلى جانِبِ التَّلِّ ، وَأَخَذَ جوني يَنْتَزِعُ بَعْضَ القَوالِبِ .

قالَ لِجو : « ساعِدْني . »

وَأَلْقى كُلٌّ مِنْ جو وَجوني الطّوبَ عَلى الأَرْضِ ، وَرَأى جو في ضَوْءِ القَمَرِ المُتَأَلِّقِ مِنْ خِلالِ الثَّقْبِ الَّذي أَحْدَثاهُ بِالحائِطِ ، طَريقاً واسِعاً يَمْتَدُّ داخِلَ التَّلِّ .

الفصل الثالث

سَأَلَ جو : « إلى أَيْنَ يَنْتَهي هَذا المَمَرُّ ، يا جوني ؟ »

أَجابَ جوني : « لا أَعْرِفُ ، فَلَمْ أَجْرُؤْ يَوْماً عَلى التَّوَغُّلِ فيهِ بَعيداً . »

ثُمَّ أَخَذَ جو في الاسْتِفْسارِ عَنْ أَشْياءَ أُخْرى .

قالَ جوني : « أَعْرِفُ الكَثيرَ عَنِ المَناجِمِ ، فَسَوْفَ أَصيرُ مِنْ رِجالِها يَوْماً ما ، فَإِنّي أَنْصِتُ إِلَيْهِمْ كَثيراً . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا المَمَرَّ شُقَّ خِصِّيصَى لِيُؤَدِّيَ إلى مَنْجَم مايروغ الَّذي أُغْلِقَ مُنْذُ سَنَواتٍ . وَلَكِنَّ مَناجِمَ ريداخ تَتَّصِلُ بِهِ تَحْتَ الأَرْضِ ، وَرِجالُ المَناجِمِ يَقولونَ إِنَّهُ لا توجَدُ خَرائِطُ دَقيقَةٌ لِمَنْجَمِ مايروغ . »

سَأَلَهُ جو : « مَنْ أَيْضاً رَأى هَذا المَمَرَّ ؟ »

« لا أَحَدَ ، لَقَدِ اكْتَشَفْتُهُ مُنْذُ عامٍ ، وَاحْتَفَظْتُ بِالسِّرِّ لِنَفْسي . »

« وَلِماذا تَجْعَلُني أَراهُ الآنَ ؟»

« أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُوصِلَنا إِلى الرِّجالِ المُحاصَرينَ .»

« وَلِماذا لَمْ تُخْبِرْ أَحَدًا بِذَلِكَ فَوْرَ وُقوعِ الحادِثِ .»

« أَخْبَرْتُ والِدي .»

صاحَ جو : « مَعْنى ذَلِكَ أَنَّ مورغان ...»

قاطَعَهُ جوني قائِلاً : « في البِدايَةِ قالَ إِنِّي كاذِبٌ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَهَدَّدُني ، وَنَهاني عَنْ أَنْ أُخْبِرَ أَحَدًا بِذَلِكَ حَتّى أُمّي . وَإِذا فَعَلْتُ فَسَوْفَ يَقْتُلُني . وَهَدَّدَني أَيْضًا بِقَتْلِ أُمّي ثُمَّ مُغادَرَةِ المَدينَةِ .»

سَأَلَ جو : « وَلَكِنْ لِماذا تُخْبِرُني بِذَلِكَ ؟»

« أَعْرِفُ أَنَّكَ سَوْفَ تُساعِدُني ، وَأَنا سَأَعودُ ثانِيَةً إِلى فِراشي ، وَلَنْ يَعْرِفَ أَبي أَنّي أَخَذْتُكَ إِلى المَمَرِّ ، وَأَنْتَ بِدَوْرِكَ لَنْ تُخْبِرَهُ .»

وَنَظَرَ جو خِلالَ المَمَرِّ المُظْلِمِ ، وَقالَ : « سَوْفَ نَذْهَبُ مُباشَرَةً إِلى مايروغ ، وَنَتَّصِلُ هاتِفِيًا بِغوين داڤيز ؛ وَهُوَ يَدُلُّنا هَلْ نَسْتَكْشِفُ المَمَرَّ أَمْ لا .»

وَرَجَعا إِلى الطَّريقِ ، وَدَخَلا أَوَّلَ حانَةٍ صادَفَتْهُمْ . وَجَلَسَ جوني ساكِنًا في رُكْنٍ ، عَلى حينِ كانَ جو يَتَّصِلُ بِغوين .

وَانْتابَ غوين القَلَقُ لِما سَمِعَهُ مِنْ جو ، فَقالَ : « يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ الوَلَدُ صادِقًا ؛ فَمِنْطَقَةُ (يو ٥) أَقْرَبُ إِلى مايروغ مِنْها إِلى ريداخ ، وَ وادي مايروغ أَعْمَقُ مِنْ وادينا . اِنْتَظِرْ في الحانَةِ ، وَسَوْفَ أَتَحَدَّثُ إِلى قائِدِ فِرْقَةِ الإِنْقاذِ ثُمَّ أَتَّصِلُ بِكَ .»

قالَ جو : « يُساوِرُني الشَّكُّ في غاريث مورغان ، وَإِنَّكَ لَعَلي حَقٍّ ؛ فَهُوَ خَطِرٌ وَيَمْقُتُكُمْ جَميعًا ، وَرُبَّما حاوَلَ أَنْ يَجِدَ المَمَرَّ .»

قالَ غوين : « مورغان مَوْجودٌ هُنا في إِدارَةِ المَنْجَمِ ، وَهُوَ يَرْتَدي مَلابِسَ المَنْجَمِ ، وَلَكِنَّهُ يَقِفُ مُتَفَرِّجًا ، وَلا يَفْعَلُ شَيْئًا .»

قالَ جو : « لا تَدَعْهُ يَغِبْ عَنْ عَيْنَيْكَ .»

وَبَعْدَ رُبْعِ السّاعَةِ ، اِتَّصَلَ غوين داڤيز مَرَّةً أُخْرى هاتِفِيًا ، وَأَنْبَأَ جو بِحُدوثِ انْهِيارٍ صَخْرِيٍّ آخَرَ ، وَسُقوطِ قائِدِ فِرْقَةِ الإِنْقاذِ تَحْتَ الأَنْقاضِ ، وَعَدَمِ تَمَكُّنِهِ مِنَ الاتِّصالِ بِهِ ؛ فَخُطوطُ التِّليفونِ بِالمَنْجَمِ قَدْ قُطِعَتْ .

قالَ غوين : « سَوْفَ أُحْضِرُ فَريقًا خاصًّا لِلإِنْقاذِ مِنَ المُتَطَوِّعينَ . ما زالَ مورغان مَوْجودًا . اِنْتَظِرْ بِالحانَةِ .»

قالَ جو : « أَحْضِرْ لي مَعَكَ خوذَةً وَمَلابِسَ لِلْمَنْجَمِ .»

وَبَيْنَما كانَ جو يَنْتَظِرُ بِالحانَةِ تَحَدَّثَ إِلى الرِّجالِ ، وَلَمْ يَكُنْ

فيهِمْ أحَدٌ مِنَ العامِلينَ بِالْمَنْجَمِ . وَلَكِنَّ مُعْظَمَهُمْ كانوا مِمَّنْ يَعْمَلونَ بِصِناعاتِ الصُّلْبِ الجَديدَةِ أَسْفَلَ الوادي ، وَالَّتي تَعْتَمِدُ عَلى فَحْمِ ريداخ ، وَلِذا فَغالِبِيَّةُ هَؤلاءِ العُمَّالِ لَهُمْ أَصْدِقاءُ في ريداخ ، يَلْتَقونَهُمْ في الحاناتِ ، وَيَلْعَبونَ مَعَهُمْ مُبارَياتٍ في كُرَةِ القَدَمِ .

قالَ أحَدُهُمْ : « يَمْتَدُّ المَمَرُّ تَحْتَ ذَلِكَ التَّلِّ كيلومِتْراتٍ عَديدَةً . وَدائِماً ما يَكونُ هُناكَ فَحْمٌ جَيِّدٌ في المَنْجَمِ الَّذي كانَ آمِناً تَماماً ، وَكانَ أبي وَعَمّي يَعْمَلانِ بِهِ . وَإذا طَلَبْتَ مُتَطَوِّعينَ فَإنّي سَآتي مَعَكَ . »

وَتَوالَتِ الصَّيْحاتُ في جَنَباتِ الحانَةِ : « وَأَنا أَيْضاً . » وَجَلَسَ جوني هادِئًا في رُكْنِهِ وَهُوَ يُنْصِتُ .

وَبَعْدَ عِشْرينَ دَقيقَةً وَصَلَ غوين وَمَعَهُ فَريقُ الإنْقاذِ الَّذي جَمَعَهُ مِنَ المُتَطَوِّعينَ ، وَكانَ مَعَهُمْ كليف وَلِيامز . وَارْتَدى جو المَلابِسَ وَالخُوذَةَ الَّتي أحْضَرَها لَهُ غوين .

قالَ غوين بِهُدوءٍ : « لَقَدْ ذَهَبَ مورغان ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ رَجُلاً لِمُراقَبَتِهِ ، وَلَكِنَّ مورغان كانَ في غايَةِ الدَّهاءِ ، وَلا نَدْري أَيْنَ هُوَ الآنَ . »

قالَ جو : « إذاً لا بُدَّ أنْ نُسْرِعَ . »

وَقادَهُمْ جوني ، وَالقَمَرُ خَلْفَ السُّحُبِ السَّوْداءِ ، وَلَكِنَّ مَصابيحَ المَنْجَمِ المُتَوَهِّجَةَ أَضاءَتْ لَهُمُ الطَّريقَ .

قالَ جوني : « أَسْتَطيعُ أنْ أَجِدَ طَريقي بِدونِ مِصْباحٍ ، فَقَدْ كُنْتُ أَلْهو هُنا خِلالَ الإجازاتِ عَلى حينِ كانَ أبي داخِلَ المَنْجَمِ . »

وَكانوا عَلى مَبْعَدَةِ مِئَةِ مِتْرٍ مِنْ سَفْحِ التَّلِّ حينَما سَمِعوا ضَجَّةً ، فَوَقَفوا وَسَلَّطوا مَصابيحَهُمْ ، فَتَراءَتْ لَهُمْ عَجَلَةٌ حَديدِيَّةٌ مُلْقاةٌ عَلى الأَرْضِ ، وَالغُبارُ يَتَصاعَدُ حَوْلَها .

قالَ جو : « هَذا لَيْسَ بِفِعْلِ الرِّياحِ ؛ ثَمَّةَ شَخْصٌ ما . »

سَأَلَهُ غوين : « هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُ مورغان ؟ »

رَدَّ جو : « نَعَمْ ، وَلا بُدَّ أنْ نَأْخُذَ الحَيْطَةَ ، وَيَجْدُرُ بِكَ أنْ تُخْبِرَ رِجالَكَ عَنْهُ . »

قالَ غوين : « لا أَوَدُّ أنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . » ثُمَّ الْتَفَتَ إلى فَريقِهِ قائِلاً : « قَدْ يَكونُ غاريث مورغان مُقْتَفِياً أَثَرَنا . إذا رَأَيْتُموهُ اقْبِضوا عَلَيْهِ وَآتوني بِهِ ؛ فَإنّي أُريدُ التَّحَدُّثَ إلَيْهِ . »

أضافَ جو : « وَلكِنْ خُذوا حِذْرَكُمْ ؛ فَرُبَّما يكونُ مُسلَّحًا أَوْ شَيْئًا مِنْ هَذا القَبيلِ .»

وَكانوا عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ مَخْزَنِ السِّكَّةِ الحَديدِ . وَكانَ المَبْنى بِدونِ سَقْفٍ ، وَمَليئًا بِعَرَباتِ الشَّحْنِ القَديمَةِ ، الَّتي كانَ مُعْظَمُها بِدونِ عَجَلاتٍ ، وَالكَثيرُ مِنْها قَدِ انْقَلَبَ عَلى جَوانِبِهِ . وَحَوائِطُ المَبْنى العالِيَةُ المَبْنِيَّةُ بِالطّوبِ ،كانَتْ مَليئَةً بِالفَجَواتِ .

قالَ جو : « لَنْ نَجِدَهُ هُناكَ .»

وَاسْتَمَرّوا خَلْفَ جوني إلى فُتْحَةٍ في الحائِطِ ، وَحينَ بَلَغوا المَمَرَّ قالَ غوين : « وَماذا عَنِ الوَلَدِ ؟ لا يُمْكِنُنا أَنْ نَصْحَبَهُ مَعَنا ، وَكَذلِكَ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَتْرُكَهُ هُنا ؛ فَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَأْتِيَ غاريث مورغان إلى هَذا المَكانِ .»

قال جو : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ تَماماً . وَرُبَّما يَكونُ هُنا الآنَ ، وَقَدْ يَكونُ قَدْ أَخْفى مُتَفَجِّراتٍ في الطَّريقِ . الأَفْضَلُ أَنْ أَذْهَبَ وَأَرى . لا تَقْتَرِبْ كَثيراً مِنَ المَدْخَلِ .»

وَقَفَزَ جو خِلالَ الفُتْحَةِ ، وَبَدَأَ يَسيرُ بِحَذَرٍ مُنْحَدِراً إلى المَمَرِّ .



وَبَعْدَ خُطُواتٍ مَعْدوداتٍ أَخَذَ الطَّريقُ يَضيقُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ جو أَنْ يَقِفَ مُنْتَصِباً ؛ فَقَدْ كانَتِ الأَرْضُ مُغَطّاةً بِقِطَعٍ مِنَ الأَحْجارِ ، وَالماءُ يَقْطُرُ مِنَ السَّقْفِ . وَسَلَّطَ مِصْباحَهُ إلى كُلِّ فُتْحَةٍ في السَّقْفِ وَالحَوائِطِ ، وَكانَ يُنْعِمُ النَّظَرَ في الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ خُطْوَةً ، ثُمَّ سارَ خَمْسينَ مِتْراً أَوْ يَزيدُ ، ثُمَّ عادَ مَرَّةً أُخْرى إلى المَدْخَلِ .

قالَ جو مُخاطِباً غوين : « لَمْ أعثُرْ على شَيْءٍ . وَلكِنْ رُبَّما حاوَلَ مورغان ذَلِكَ فيما بَعْدُ ، حينَ تَكونونَ جَميعاً بِالدّاخِلِ . »

صاحَ غوين : « هَلْ تَعْتَقِدُ أنَّهُ سَوْفَ يُحاوِلُ قَتْلَنا جَميعاً ؟ »

أجابَ جو : « وَلِمَ لا يَفْعَلُ ؟ فَهُوَ يُريدُ قَتْلَ أيفور إيفانز ، وَسَوْفَ يَكونُ مُسْتَعِدًّا تَماماً لِقَتْلِ أناسٍ آخَرينَ حَتّى يَصِلَ إلى هَدَفِهِ . إنَّهُ مَجْنون ! »

قالَ غوين : « يَجْدُرُ بِنا أنْ نَسْتَدْعِيَ الشُّرْطَةَ . »

قالَ جو : « لَيْسَ لَدَيْنا وَقْتٌ . سَأهْتَمُّ بِجوني ، وَكَذَلِكَ سَأنْتَظِرُ مورجان . وَيُمْكِنُ لِكليف وَلِيامز أنْ يَبْقى مَعي . »

قالَ غوين : « طَبْعاً ، لَنْ تَمْكُثَ وَحْدَكَ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ . لَقَدْ تَرَكْتُ رِسالَةً لِقائِدِ فِرْقَةِ الإنْقاذِ ، وَسَيَأتي فَوْراً بِمُجَرَّدِ أنْ يَتَسَلَّمَها . »

وَأمْسَكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الطَّباشيرِ الأبْيَضِ ، ثُمَّ أرْدَفَ قائِلاً : « لا أعْرِفُ هَذِهِ الطَّريقَ ، وَلَكِنْ حَتْماً سَتَكونُ ثَمَّةَ طُرُقٌ جانِبِيَّةٌ ، وَلِذا سَوْفَ أضَعُ عَلاماتٍ تُمَيِّزُ طَريقَنا . »

قالَ جو في صَوْتٍ خَفيضٍ : « إلى اللِّقاءِ ، يا غوين . »

وَمَضى غوين وَفَريقُهُ في المَمَرِّ .

سَألَ كليف ، بَعْدَ أنْ قَفَزَ آخِرُ رَجُلٍ مِنْ خِلالِ الفُتْحَةِ : « ماذا تُريدُ أنْ تَفعَلَ الآنَ ؟ »

قالَ جو : « أطْفِئْ مِصْباحَكَ ، وَكُنْ هادِئًا بِقَدْرِ ما تَسْتَطيعُ . »

وَانْصاعَ كليف لِلأمْرِ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ جو . وَكانَ الظَّلامُ حالِكًا لِدَرَجَةٍ جَعَلَتْ رُؤْيَةَ أكُفِّهِمْ غَيْرَ مُمْكِنَةٍ . وَرَأى جو كَوْمَةً ضَخْمَةً مِنَ الطّوبِ بِالقُرْبِ مِنَ المَدْخَلِ ، فَأمْسَكَ بِيَدِ جوني قائِلاً : « سَنَخْتَبِئُ خَلْفَ كَوْمَةِ الطّوبِ ، وَلَكِنْ لا تُحْدِثا أيَّةَ جَلَبَةٍ . »

وَانْطَرَحوا خَلْفَ كَوْمَةِ الطّوبِ مُنْصِتينَ . وَتَلاشى صَوْتُ وَقْعِ الأقْدامِ في المَمَرِّ . وَاصْطَدَمَتْ قِطْعَةٌ مِنَ الحَديدِ القَديمِ بِالحائِطِ عَلى بُعْدِ أمْتارٍ قَليلَةٍ ، ثُمَّ صَكَّتْ آذانَهُمْ أصْواتُ ضَجَّةٍ أخْرى ، جَعَلَتْ جو يَشْعُرُ بِالقَلَقِ وَالخَشْيَةِ ألا يُحِسَّ بِغاريث وَهُوَ قادِمٌ .

وَفَجْأةً أضاءَ مِصْباحٌ – عَلى بُعْدِ أمْتارٍ قَليلَةٍ مِنْهُمْ – كَوْمَةَ الطّوبِ لِلَحَظاتٍ مَعْدوداتٍ ، وَحَبَسَ جو وَمُرافِقاهُ أنْفاسَهُمْ . ثُمَّ تَحَرَّكَ المِصْباحُ تِجاهَ مَدْخَلِ الطَّريقِ ، وَعَلى ضَوْئِهِ ظَهَرَ شَبَحُ رَجُلٍ .



وَتحدَّثَ جو بِهُدوءٍ شَديدٍ إلى الآخَرِيْنِ قائِلاً : « لا تتحرَّكا !» ثُمَّ صاحَ : « ارْفَعْ يَدَيْكَ ، فَإنّي مُسَلَّحٌ !»

وَأطْلَقَ غاريث مورغان صَيْحَةَ دَهْشَةٍ . وَأضاءَ المِصْباحُ كَوْمَةَ الطّوبِ مَرَّةً أخْرى . وَلَمْ يَتَحَرَّكْ جو مِنْ مَكانِهِ ، وَضَحِكَ غاريث قائِلاً : « هَذِهِ لُعْبَةٌ قَديمَةٌ ! أعْرِفُ أنَّكَ لَسْتَ مُسَلَّحاً ، وَلكِنّي أحْمِلُ مُتَفَجِّراتٍ ، يا سَيِّدُ بروك . هَلْ تَعْرِفُ الجِلِجْنايت ؟ إنَّهُ مُتَفَجِّرٌ خَطيرٌ ! خَطيرٌ لِلْغايَةِ !»

رَدَّ جو : « هَلْ تَظُنُّ أنّني أهابُ المَوْتَ في سَبيلِ إنْقاذِ خَمْسينَ رَجُلاً .»

« أنا مُوقِنٌ مِنْ ذَلِكَ ، يا سَيِّدُ بروك . وَكُلُّ شَخْصٍ يَعْرِفُ أنَّكَ رَجُلٌ شُجاعٌ ، وَلَكِنَّكَ أحْضَرْتَ الغُلامَ مَعَكَ .»

وَأحَسَّ جو أنَّ جوني يَتَحَرَّكُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ سَريعاً على فيهِ ، وَقالَ : « أنْتَ مُخْطِئٌ ، يا مورغان ، فَأنا لَسْتُ غَبِيًّا ! لَقَدْ أخْفَيْتُ جوني في مَكانٍ أمينٍ ، وَأنا لا أعْتَقِدُ أنَّكَ تَحْمِلُ مُتَفَجِّراتٍ ، فَأنْتَ أيْضاً لَسْتَ غَبِيًّا !»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَفَزَ جو وَأضاءَ مِصْباحَهُ . وَأذْهَلَتِ المُفاجَأةُ

غاريث ؛ فَتراجَعَ بِرأسِهِ إلى الخَلْفِ ؛ فَسَقَطَتْ خُوذَتُهُ وَالمِصْباحُ الَّذي يَحْمِلُهُ . وَكانَ الضَّوْءُ شَديداً لِدَرَجَةٍ جَعَلَتْهُ يُشيحُ بِوَجْهِهِ بَعيداً . وَفَجْأَةً جَرى إلى الأمامِ ، وَتَناوَلَ قالَباً مِنَ الطّوبِ وَقَذَفَهُ بِكُلِّ ما أوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ ؛ وَصَرَخَ جو مِنْ شِدَّةِ الألَمِ ثُمَّ خَرَّ عَلى الأرْضِ .

وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ شَعَرَ جو بِأيْدٍ تُمْسِكُ بِذِراعِهِ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ كليف يُعاوِنُهُ عَلى النُّهوضِ ، وَجوني يَنْظُرُ إلَيْهِ بِقَلَقٍ ؛ فَقالَ يُطَمْئِنُهُ : « إنّي عَلى ما يُرامُ . أيْنَ غاريث مورغان ؟»

أجابَ كليف : « لا أعْرِفُ ، فَعِنْدَما أضَأْتُ مِصْباحي كانَ قَدِ اخْتَفى .»

وَنَظَروا جَميعاً إلى الفَجْوَةِ السَّوْداءِ في جانِبِ التَّلِّ . تُرى هَلْ هَرَبَ مورغان داخِلَ المَنْجَمِ ؟»

الفصل الرابع

سَلَّطَ كُلٌّ مِنْ جو وَكليف مِصْباحَيْهِما عَلى المَدْخَلِ ، وَلَكِنَّهُما لَمْ يَعْثُرا عَلى غاريث . وَكانَ ثَمَّ مُنْعَطَفٌ في المَمَرِّ بَعْدَ عَشَرَةِ أمْتارٍ ؛ فَأرْهَفا السَّمْعَ وَلَكِنَّهُما لَمْ يَسْمَعا أيَّ شَيْءٍ .

قالَ جو : « هَذا المَكانُ لَيْسَ آمِناً . وَإذا كانَ مورغان لا يَزالُ بِالخارِجِ ، فَرُبَّما عادَ وَمَعَهُ المُتَفَجِّراتُ . إنَّهُ سَيُقْدِمُ الآنَ عَلى أيَّةِ مُخاطَرَةٍ ؛ فَأنا لا أشُكُّ لَحْظَةً في أنَّهُ مَجْنونٌ .»

وَساروا بِجِوارِ الحائِطِ نَحْوَ ثَلاثينَ مِتْراً بَعيداً عَنِ المَدْخَلِ .

وَبادَرَ جو كليف قائِلاً : « أعِدْ جوني إلى الحانَةِ ، يا كليف ، ثُمَّ أبْلِغِ الشُّرْطَةَ ؛ إذْ يَجِبُ أنْ يَضَعوا مَتاريسَ في الطَّريقِ . وَإذا

فَكَّرَ مورغان في الهُروبِ فَإنَّهُ سَيُحاوِلُ تَرْكَ المَدينةِ وَالبَلْدَةِ . سَأنْتَظِرُ فَريقَ الإنْقاذِ ، ثُمَّ أشْرَحُ كُلَّ شَيْءٍ لِلْقائِدِ .»

قالَ كليف : « أفْضَلُ أنْ أبْقى لِمُساعَدَتِكَ .»

قالَ جوني : « إنّي أشْعُرُ بِالأمانِ وَأنا مَعَكَ .»

قالَ جو : « لا بُدَّ أنْ تَذْهَبا ، أطْفِئْ مِصْباحَكَ ، يا كليف ، وَكُنْ هادِئًا قَدْرَ ما تَسْتَطيعُ .»

وَأطْفَأَ كليف مِصْباحَهُ ، وَمَضى مَعَ جوني . أمّا جو فَلَمْ يُطْفِئْ مِصْباحَهُ ، وَمَشى بِبُطْءٍ إلى مَدْخَلِ المَمَرِّ . وَكُلَّما سَمِعَ حَرَكَةً غَيْرَ عادِيَّةٍ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ سَريعًا ، حَتّى بَدَتْ هَذِهِ الأمْتارُ الثَّلاثونَ وَكَأنَّها ثَلاثُمِئَةٍ . وَأخيرًا وَصَلَ إلى المَدْخَلِ ، فَأطْفَأَ مِصْباحَهُ ، ثُمَّ اخْتَبَأَ مَرَّةً أُخْرى خَلْفَ كَوْمَةِ الطّوبِ . وَمَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ لَمْ يَحْدُثْ فيها شَيْءٌ ، وَلَمْ يَبْدُ القَمَرُ مَرَّةً ثانِيَةً مِنْ بَيْنِ السَّحابِ ، ثُمَّ أخَذَتِ السَّماءُ تُمْطِرُ .

تُرى هَلْ نَزَلَ غاريث مورغان إلى المَنْجَمِ ؟ يَبْدو أنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ . وَ وَقَفَ جو وَأضاءَ مِصْباحَهُ ، وَقَفَزَ خِلالَ فُتْحَةٍ في الجِدارِ ، وَأخَذَ

يَمْشي . وَبَعْدَ مِئَةِ مِتْرٍ اتَّسَعَ المَمَرُّ مَرَّةً أُخْرى ، وَهُوَ يوغِلُ في المَنْجَمِ . وَتَذَكَّرَ جو ما قالَهُ أحَدُ رِجالِ المَنْجَمِ : « إذا فَقَدْتَ طَريقَكَ في مَنْجَمِ الفَحْمِ فامْشِ دائِمًا تِجاهَ الرّيحِ ، فَقَدْ تَصِلُ إلى المَمَرِّ الواسِعِ . وَلَكِنْ في النِّهايَةِ سَوْفَ تَجِدُ نَفْسَكَ أمامَ أنْبوبِ التَّهْوِيَةِ .»

وَالواقِعُ أنَّهُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ آلاتٌ لِدَفْعِ الهَواءِ إلى المَنْجَمِ الخالي ، كَما لَمْ توجَدْ أيَّةُ أنابيبَ لِلتَّهْوِيَةِ . لَقَدِ اكْتَشَفَ جو كُهوفًا في تِلالِ يوركْشير ، وَزَحَفَ عَلى كِلْتا يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ خِلالَ العَديدِ مِنَ المَمَرّاتِ الطَّويلَةِ الضَّيِّقَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أنْ طارَدَ أحَدًا تَحْتَ الأرْضِ . وَكادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ كُلِّ انْحِناءَةٍ في المَمَرِّ . كانَ هَذا الخَوْفُ جَديدًا عَلَيْهِ . وَحَدَثَ أنْ سَقَطَتْ أمامَهُ صَخْرَةٌ ؛ فَانْبَطَحَ عَلى وَجْهِهِ .

وَأخيرًا وَصَلَ إلى أوَّلِ مَمَرٍّ جانِبِيٍّ ، وَبَدَتْ عَلاماتُ غوين الطَّباشيرِيَّةُ عَنْ يَمينِهِ ، وَكانَتْ تَمْتَدُّ قُضْبانُ شاحِناتِ الفَحْمِ في الوَسَطِ . أمّا المَمَرُّ الَّذي يَقَعُ عَلى الشِّمالِ فَكانَ أضْيَقَ . وَلَمَعَتْ طَبَقَةٌ رَقيقَةٌ مِنَ الفَحْمِ في ضَوْءِ المِصْباحِ ، كَما تَناثَرَ بَعْضٌ مِنْهُ بَيْنَ الصُّخورِ .

وَقَفَ جو لَحظَةً بِلا حَراكٍ ، وَقَدْ سادَ صَمتٌ مُطبِقٌ ، ثُمَّ سارَ في المَمَرِّ الَّذي يَقَعُ عَنْ شِمالِهِ ، وَكانَ بِهِ حَنِيَّةٌ مُفاجِئَةٌ ، دارَ حَوْلَها بِبُطْءٍ وَهُوَ مُتأهِّبٌ لِلقَفزِ . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إذا كانَ غاريث مَوْجوداً فَإنَّهُ لَنْ يَراني ؛ لأنَّ ضَوْءَ مِصْباحي سَيَكونُ مُؤثِّرًا عَلَيْهِ . » وَلكِنَّ غاريث لَمْ يَكُنْ هُناكَ . ثُمَّ مَضى المَمَرُّ مُسْتَقيماً لِمَسافَةِ عِشْرينَ مِترًا قَبْلَ أنْ تَظهَرَ الحَنِيَّةُ الأُخْرى .

وَكانَتْ خُوذَةُ جو تَحتَكُّ بِالسَّقْفِ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ . وَرَغْمَ أنَّ مِصْباحَهُ كانَ يُضيءُ الأَرْضَ تَحْتَهُ ، إلّا أنَّ حِذاءَهُ الثَّقيلَ كانَ يَصْطَدِمُ بِالأَحْجارِ المُتساقِطَةِ . وَحَدَثَ أنْ تَعَثَّرَ خَمسَ أَوْ ستَّ مَرّاتٍ ، وَفي النِّهايَةِ سَقَطَ . وَفيما هُوَ يُحاوِلُ النُّهوضَ أَحَسَّ بِيَدَيْنِ قَوِيَّتَيْنِ تَقْبِضانِ عَلى رَقَبَتِهِ مِنَ الخَلْفِ .

وَصاحَ صَوتٌ : « إنَّكَ لَسْتَ خارِقَ الذَّكاءِ ، يا سَيِّدُ بروك ! لَقَدْ كُنْتُ عَلى ثِقَةٍ بِأنَّكَ سَوْفَ تَسْلُكُ هذا المَمَرَّ ، وَلِذا فَقَدِ انْتَظَرْتُكَ في مُنْحَنى المَمَرِّ الآخَرِ ، ثُمَّ تَبِعْتُكَ . »

لَمْ يَهتَزَّ جو ، وَقالَ : « لَقَدِ انْتَهَيْتَ ، يا غاريث ! إنَّ الشُّرْطَةَ تَنْتَظِرُكَ ، وَلَنْ تَسْتَطيعَ الإفْلاتَ مِنْها ! »

قالَ غاريث : « أَنْتَ مُخْطِئٌ ، يا سَيِّدُ بروك . سَوْفَ أَتَمَكَّنُ مِنَ الهَرَبِ ؛ فَأَنا أَذْكى مِنْهُمْ جَميعًا . أَذْكى حَتّى مِنَ السَّيِّدِ إيفانز نَفْسِهِ ، الَّذي سَيَلْقى حَتْفَهُ في غُضونِ خَمْسَةِ أَيّامٍ . »

قالَ جو بِهُدوءٍ : « إنْ قَتَلْتَني ؛ فَلَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا خارِقًا ؛ فَقَدْ كُسِرَتْ ساقي . »

وَعَمِلَتِ الأُكْذوبَةُ عَمَلَها ، فَرَفَعَ غاريث يَدَيْهِ عَنْ رَقَبَةِ جو ؛ فَباغَتَهُ وَدَفَعَهُ بِظَهْرِهِ دَفْعَةً قَوِيَّةً جَعَلَتْهُ يَتَرَنَّحُ وَيَسْقُطُ عَلى جانِبِهِ ، وَقَفَزَ جو عَلَيْهِ ، وَبَدَأَ عِراكٌ رَهيبٌ . وَكانَ غاريث يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ خارِقَةٍ . وَتَقَلَّبا في عِراكِهِما بِالمَمَرِّ مِنْ جانِبٍ لآخَرَ ، وَسَقَطَتْ خُوذَتاهُما ، وَانْطَفَأَ مِصْباحاهُما فَسادَ الظَّلامُ ، وَرَغْمَ ذلِكَ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِراكُهُما . وَأَخَذَ جو يَرْكُلُ غاريث بِقَدَمِهِ مِمّا جَعَلَهُ يَصْرُخُ مُتَأَلِّمًا مِنْ جَرّاءِ قُوَّةِ الرَّكَلاتِ . وَمَضَتْ أَصابِعُ غاريث تَبْحَثُ عَنْ عَيْنَيْ جو . وَمَزَّقَتِ الصُّخورُ مَلابِسَهُما وَجَسَدَيْهِما ، وَتَصَبَّبَ العَرَقُ مِدْرارًا مِنْ وَجْهَيْهِما .

وَفَجْأَةً هَبَّتْ زَوْبَعَةُ هَواءٍ أَلْقَتْهُما عَلى الأَرْضِ ، وَأَحْدَثَتِ الأَحْجارُ المُتَساقِطَةُ دَوِيًّا ، وَانْهارَ جُزْءٌ مِنَ السَّقْفِ ، وَزَكَمَ الغُبارُ أَنْفَ جو

وَفَمَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّنَفُّسَ .

وَنادى جو حينَ اسْتَطاعَ الكَلامَ : « هَلْ ما زِلْتَ هُنا ؟ »

وَأَجابَهُ صَوْتٌ واهِنٌ : « أَجَلْ . »

« هَلْ أُصِبْتَ ؟ »

« لا . »

« المَمَرُّ مُغْلَقٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ هَلْ نُنْهي عِراكَنا ؟ »

وَلَمْ يَتَلَقَّ جو جَواباً .

سَأَلَ جو : « أَلا تَوَدُّ أَنْ تَقْتُلَني قَبْلَ أَنْ نَموتَ مَعاً ؟ »

« لا تَكُنْ أَبْلَهَ ! »

« ما الَّذي تَنْوي فِعْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« انْتِظارُ فِرْقَةِ الإِنْقاذِ . »

« وَانْتِظارُ رِجالِ الشُّرْطَةِ ! »

« لا أُريدُ أَنْ أَموتَ مُلْقًى هُنا . »

« رُبَّما يَصِلُ هَذا المَمَرُّ إِلى طَريقٍ آخَرَ . »

« لا ، إِنَّهُ يَقودُ إِلى فُتْحَةِ مَنْجَمٍ قَديمٍ . »

« هَلْ لَدَيْكَ ثِقابٌ ؟ »

« لا ، لَقَدْ فُقِدَ ، وَرُبَّما يَكونُ بِالمَكانِ غازٌ . سَأُحاوِلُ أَنْ أَجِدَ طَريقاً فَوْقَ الأَحْجارِ المُتَساقِطَةِ . »

« وَماذا سَتَفْعَلُ عِنْدَما تَجِدُهُ ؟ »

« انْتَظِرْ وَسَتَرى . »

وَتَحَسَّسَ جو جَوانِبَ المَمَرِّ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَرَّكُ خَلْفَ الأَحْجارِ المُتَساقِطَةِ الَّتي كانَ يُلْقيها غاريث . وَصارَ الضَّجيجُ داخِلَ المَمَرِّ مُرْعِباً ، وَثارَ الغُبارُ ، وَغَطّى جو أَنْفَهُ وَفَمَهُ . وَتَطايَرَتْ بَعْضُ الكُتَلِ الضَّخْمَةِ مِنَ الأَحْجارِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ أَطْبَقَ السُّكونُ .

نادى غاريث أَخيراً : « أَما زِلْتَ حَيّاً ، يا سَيِّدُ بروك ؟ »

وَلَمْ يُجِبْ جو . وَمَرَقَ حَجَرٌ بِجِوارِ أُذُنِهِ وَاصْطَدَمَ بِالحائِطِ خَلْفَهُ .

وَأكْمَلَ غاريث : « سَتَكونُ مَحْظوظاً لَوْ قَضَيْتَ نَحْبَكَ ، يا سَيِّدُ بروك ، فَلَيْسَ ثَمَّ هَواءٌ كافٍ ، وَسَنموتُ مَوْتاً بَطيئاً .»

وَالْتَقَطَ جو حَجَراً صَغيراً وَألْقاهُ بِأقْصى قُوَّتِهِ نَحوَ الصَّوْتِ ، سَمعَ عَلى إثْرِها صَرْخَةَ ألَمٍ .

وَقالَ جو : « في المَرَّةِ القادِمَةِ سَيَكونُ الحَجَرُ أضْخَمَ ؛ إنّي أرى جَيِّداً في الظَّلامِ .»

قالَ غاريث : « حَسَنٌ ! نَتَعاهَدُ عَلى ألّا نَتَراشَقَ بِالحِجارَةِ .»

قالَ جو : « ما الَّذي تَزْمَعُ أنْ تَفْعَلَهُ الآنَ ؟»

قالَ غاريث : « اِقْرَعِ الحائِطَ ، فَإنْ لَمْ تَكُنِ الأحْجارُ المُتَساقِطَةُ سَميكَةً جِدًّا ، فَسَوْفَ تَسْمَعُنا فِرْقَةُ الإنْقاذِ وَتَهُبُّ لِنَجْدَتِنا .»

قالَ جو : « لا ، سَوْفَ أبْقى أنا هُنا ، وَتَبْدَأُ أنْتَ في النَّقْرِ . وَإذا تَعِبْتَ فَسَآخُذُ مَكانَكَ .»

وَأخَذَ غاريث يَدُقُّ حائِطَ المَمَرِّ بِقِطْعَةٍ مِنَ الحَجَرِ . وَزادَت شِدَّةُ دَقّاتِهِ . أوَّلاً ثَلاثُ دَقّاتٍ سَريعَةٍ تَلَتْها ثَلاثٌ بَطيئَةٌ . ثُمَّ تَوَقَّفَ

وَأنْصَتَ فَلَمْ يَسْمَعْ صَدًى لِدَقّاتِهِ . وَأعادَ الدَّقَّ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ ، وَلَمْ يَسْمَعْ سِوى صَوْتِ قَطَراتِ الماءِ المُتَساقِطَةِ مِنَ السَّقْفِ ، مِمّا جَعَلَ جو يَعْجَبُ لِكَمِّيَّةِ المِياهِ فَوْقَهُما ، وَالمُنْحَدِرَةِ مِنْ سَفْحِ التَّلِّ . وَلِلَحْظَةٍ أدْرَكَهُ الرُّعْبُ . تُرى هَلْ سَتُحَطِّمُ هَذِهِ المِياهُ السَّقْفَ وَتَغْمُرُ المَمَرَّ ؟ وَجَفَّ حَلْقُهُ ، وَحاوَلَ عَبَثاً أنْ يَجِدَ مَكانَ تَسَرُّبِ الماءِ .

وَنَظَرَ إلى ساعَتِهِ ، كانَ زُجاجُها مَكْسوراً ، وَعَقارِبُها قَدْ فُقِدَتْ . وَمَضَتِ الدَّقائِقُ بَطيئَةً ، وَلَمْ يَنْطِقْ غاريث . وَأدْرَكَهُ التَّعَبُ فَقالَ : « الآنَ جاءَ دَوْرُكَ .»

وَلَمَسَ غاريث جو حينَ مَرَّ بِهِ ، وَمَضى كُلٌّ مِنْهُما سَريعاً ، فَلَمْ يَكُنْ في نِيَّةِ أحَدِهِما أنْ يَبْدَأَ العِراكَ مِنْ جَديدٍ .

وَبَدَأ جو يَدُقُّ الحائِطَ وَيُنْصِتُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ إجابَةً لِطَرَقاتِهِ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ غاريث .

وَلَكِنَّ غاريث قالَ : « أنْتَ لا تَطْرُقُ كَما يَجِبُ ! أنْتَ تَخْشى أنْ أباغِتَكَ بِالهُجومِ ، أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ لا تَقْلَقْ فَإنّي لَنْ أوذِيَكَ ؛ فَإنّي أحْتاجُكَ . اُطْرُقْ بِشِدَّةٍ .»

وَمَضَتِ السَّاعاتُ ، وَغَدَتْ دَقّاتُهما أَضْعَفَ وَأَضْعَفَ ، وَتَنَفُّسُهُما أَصْعَبَ وَأَصْعَبَ ، وَلَمْ يَقْدِرا عَلى الكَلامِ أَوِ الطَّرْقِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَأَخيراً اسْتَلْقَيا انْتِظاراً لِلْمَوْتِ ، ثُمَّ غَلَبَ النَّوْمُ جو .

وَفَتَحَ جو عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ ضَوْءاً مُسَلَّطاً عَلَيْهِ .

وَقالَ صَوْتٌ : « سَتَكونُ عَلى ما يُرامُ . »

سَأَلَ جو : « أَيْنَ أَنا ؟ »

رَدَّ كليف وِلْيامز : « في المَكانِ الَّذي وَجَدْناكَ بِهِ ، وَقَدْ أَوْصَلْنا إِلَيْكَ أُنْبوبَ هَواءٍ ، ثُمَّ أَخَذْنا في إِزالَةِ الأَحْجارِ . وَقَدِ اسْتَغْرَقَ الأَمْرُ ساعاتٍ . »

سَأَلَ جو : « أَيْنَ غاريث مورغان ؟ »

صاحَ كليف : « غاريث مورغان ؟ هَلْ كانَ مَعَكَ ؟ »

(كارديف إيڤننج ستار)

آخِرُ الرِّجالِ الَّذينَ تَمَّ إِنْقاذُهُمْ مِنْ مَنْجَمِ ريداخ
البَحْثُ جارٍ عَنْ غاريث مورغان

الأربعاء ٦ إبريل

تَمَّ إِخْراجُ جَميعِ الرِّجالِ المُحاصَرينَ – وَعَدَدُهُمْ اثْنانِ وَأَرْبَعونَ رَجُلاً – مِنْ مَنْجَمِ ريداخ ، وَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِجِراحٍ خَطيرَةٍ . وَكانَ السَّيِّدُ إيڤانز مُديرُ المَنْجَمِ آخِرَ مَنْ أُخْرِجَ .

وَقالَ السَّيِّدُ إيڤانز : « كُنّا مُتَأَكِّدينَ بِأَنَّنا فَقَدْنا كُلَّ أَمَلٍ في النَّجاةِ ! وَفي السّاعَةِ الخامِسَةِ وَالنِّصْفِ سَمِعْنا طَرْقاً عَلى الحائِطِ الحَجَرِيِّ الواقِعِ عَلى مَمَرٍّ جانِبِيٍّ . وَظَنَنّا أَنَّنا نَحْلُمُ ! وَقُمْنا بِالرَّدِّ عَلى الإِشارَةِ فَجاءَتْنا الإِجابَةُ الفَوْرِيَّةُ . وَبَدَأْنا في نَزْعِ الطّوبِ ، فَسَمِعْنا رِجالَ الإِنْقاذِ عَلى الجانِبِ الآخَرِ . كانَ المَمَرُّ ضَيِّقاً ، وَارْتِفاعُهُ في بَعْضِ الأَماكِنِ مِتْراً واحِداً فَقَطْ . وَكانَ لِزاماً عَلَيْنا أَنْ نَنْزِعَ أَحْجاراً

ضَخْمَةً لِكَيْ نَشُقَّ طَريقاً . وَرَغْمَ أنَّ الرِّجالَ كانوا ضُعَفاءَ مِنْ شِدَّةِ الإعْياءِ ، وَرَغْمَ عِلْمِهِمْ بِأنَّ السَّقْفَ يُمْكِنُ أنْ يَنْهارَ في أيَّةِ لَحْظَةٍ ، إلّا أنَّهُمْ واصَلوا العَمَلَ بِجُرْأةٍ لا مَثيلَ لَها .»

وَمَدَحَ السَّيِّدُ إيفانز شَجاعَةَ فِرْقَةِ الإنْقاذِ وَقائِدِها غوين داڤيز . وَقالَ إنَّ الثَّناءَ يَجِبُ أنْ يُوَجَّهَ أساساً إلى كُلٍّ مِنْ جوني مورغان وجو بروك . وَقَدْ أرْسَلَتْ إلَيْهِما الهَيْئَةُ الوَطَنِيَّةُ لِمَناجِمِ الفَحْمِ خِطابَ شُكْرٍ وَتَقْديرٍ .

وَلَكِنْ أيْنَ غاريث مورغان ؟ لَقَدْ بَحَثَتْ عَنْهُ فِرْقَةُ الإنْقاذِ وَلَكِنَّها لَمْ تَعْثُرْ لَهُ عَلى أثَرٍ . هَلْ هُوَ مُخْتَبِئٌ في أحَدِ المَمَرّاتِ المَجْهولَةِ ؟ لا أحَدَ يَعْرِفُ كَيْفَ هَرَبَ مِنْ مَنْجَمِ مايروغ ، وَرِجالُ الشُّرْطَةِ يُريدونَ اسْتِجْوابَهُ .

قالَ السَّيِّدُ إيفانز : « إنّي مُتَأكِّدٌ تَماماً أنَّ مورغان هُوَ سَبَبُ الحادِثِ ؛ لَقَدْ رَأيْتُهُ يُلْقي شَيْئاً ما قَبْلَ حُدوثِ الانْفِجارِ مُباشَرَةً ، ثُمَّ يَجْري .»

الجمعة ٧ إبريل

في تَمامِ الرّابِعَةِ مِنْ صَباحِ اليَوْمِ ، دَخَلَ غاريث إلى مَنْزِلِهِ مِنَ

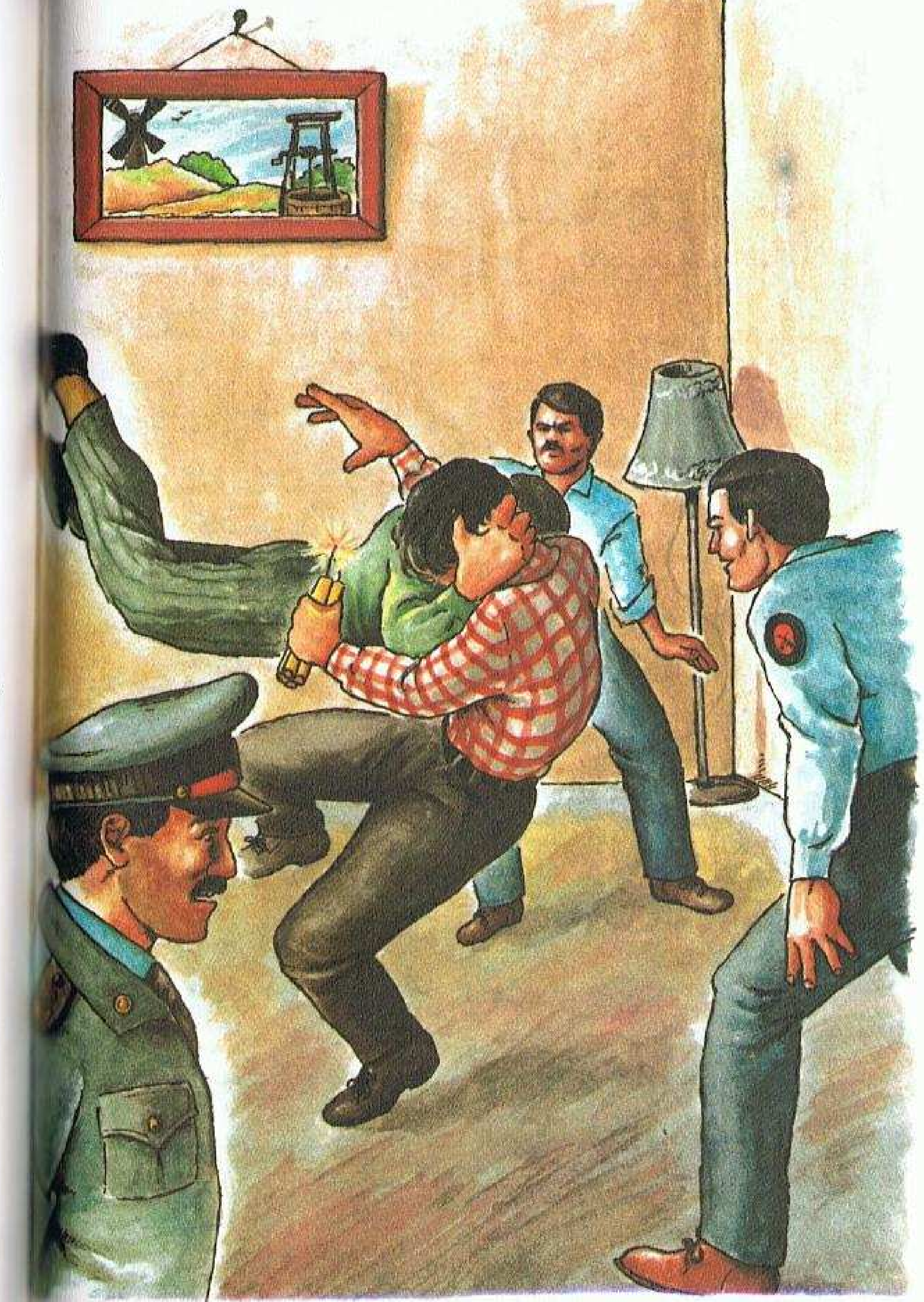
البابِ الخَلْفِيِّ ، الكائِنِ بِطَريقِ كيفن كويد . وَكانَ رِجالُ الشُّرْطَةِ مُخْتَبِئينَ . وَلَمّا حاوَلوا القَبْضَ عَلَيْهِ ، أسْرَعَ مورغان بِإخْراجِ إصْبَعِ جِلِجْنايت مِنْ جَيْبِهِ ، وَأشْعَلَ فَتيلَهُ وَصاحَ : « إذا تَقَدَّمْتُمْ خُطْوَةً واحِدَةً فَسَأُفَجِّرُ المَنْزِلَ بِكُلِّ مَنْ فيهِ !»

وَفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ دَخَلَ رَجُلٌ إلى الحُجْرَةِ ، وَقَفَزَ عَلى مورغان ، وَنَزَعَ مِنْ يَدِهِ إصْبَعَ الجِلِجْنايت وَألْقاهُ مِنَ النّافِذَةِ ، فَانْفَجَرَ في الحَديقَةِ . وَكانَ هَذا الرَّجُلُ هُوَ بروك .

وَأوْضَحَ السَّيِّدُ بروك قائِلاً : « في ساعَةٍ مُتَأخِّرَةٍ مِنْ مَساءِ الأرْبِعاءِ ، وَكانَ رِجالُ الشُّرْطَةِ قَدْ غادَروا لِتَوِّهِمْ مَنْجَمَ مايروغ ، عَنَّتْ لي فِكْرَةٌ ؛ فَقَرَّرْتُ أنْ ألْقِيَ بِنَظْرَةٍ عَلى هَذا المَنْجَمِ . وَما كِدْتُ أصِلُ إلى مَدْخَلِهِ حَتّى ظَهَرَ مورغان فَجْأةً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَني رَغْمَ أنَّ القَمَرَ كانَ مُتَلألِئاً . وَكانَ وَجْهُهُ وَمَلابِسُهُ سَوْداءَ تَماماً ، وَكانَ مِنَ الواضِحِ أنَّهُ اخْتَبَأَ في المَمَرِّ الَّذي تَعارَكْنا فيهِ . وَكُنْتُ مُتَأكِّداً أنَّهُ مُحْتاجٌ تَماماً إلى الطَّعامِ وَالنَّوْمِ .

« وَمَضى بِجِوارِ الحائِطِ ، وَلَمْ أسْتَطِعْ أنْ أقْتَفِيَ أثَرَهُ ؛ فَقَدْ تَوارى القَمَرُ خَلْفَ سَحابَةٍ . وَلَكِنّي أدْرَكْتُ أنَّهُ سَوْفَ يَعودُ إلى مَنْزِلِهِ .»

وَمورغان الآنَ في قَبْضَةِ شُرْطَةِ ريداخ ، وَقَدْ عَثَروا عَلى مَخْزَنٍ لِلْجلجْنايت في حُفْرَةٍ بِكَوْمَةِ الفَحْمِ ، عَلى مَسافَةٍ لا تَزيدُ عَلى مِئَةِ مِتْرٍ مِنَ المَنْزِلِ .



اختفاء المزيد من الذهب في الولايات المتحدة

السطو على طائرة كانت تحلق بين مكسيكو سيتي ونيويورك

وَجَّهَ لُصوصُ الذَّهَبِ لَيْلَةَ أمْسِ ضَرْبَةً أخرى ؛ وَفي هَذِهِ المَرَّةِ اسْتَوْلَوْا على ذَهَبٍ تُقَدَّرُ قيمَتُهُ بِمِلْيون دولارٍ ، مِنْ طائِرَةٍ كانَتْ تُحَلِّقُ بَيْنَ مكسيكو سيتي وَنيويورك . وَقَدِ اخْتَبَأَ اللُّصوصُ داخِلَ الطّائِرَةِ في مكسيكو سيتي ، وَكانَتْ طائِرَةً مِنَ النَّوْعِ العَتيقِ . وَبَيْنَما كانَتْ تَطيرُ أثْناءَ اللَّيْلِ هاجَموا الحارِسَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَخْدَموا في الهُبوطِ مِظَلاتٍ حَرْبِيَّةً خاصَّةً ، لِلْفِرارِ بِالذَّهَبِ .

وَحينَ هَبَطَ الطَّيّارُ في مَدينَةِ نيويورك في الصَّباحِ الباكِرِ ، لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِأمْرِ اللُّصوصِ . وَقَدْ قالَ إنَّهُ كانَ مُسْتَعِدًا لِمُغادَرَةِ مطارِ مكسيكو سيتي حينَ وَصَلَ صُنْدوقانِ ضَخْمانِ يَكْفيانِ لإخْفاءِ رَجُلَيْنِ .

وَقالَ الطَّيّارُ لِلْمُراسِلينَ الصَّحَفِيّينَ : « لَقَدْ أَحْضَرَ رِجالُ الشُّرْطَةِ الصُّنْدوقَيْنِ ، وَكانَ مَكْتوباً عَلَيْهِما : «« سِرِّيٌّ جِدًّا – مِنْ رَئيسِ شُرْطَةِ المَكْسيكِ إِلى رَئيسِ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ بِواشنطن »» وَقَدْ أَراني أَحَدُ رِجالِ الشُّرْطَةِ المُسْتَنَداتِ . وَلَمْ أَكُنْ مُتَيَقِّناً مِنْ صِحَّتِها ؛ وَلِذَلِكَ طَلَبْتُ مِنْ رَجُلِ شُرْطَةٍ بِالمَطارِ أَنْ يَفْحَصَها ، فَقالَ إِنَّها سَليمَةٌ تَماماً .»

وَأَعْلَنَ رِجالُ شُرْطَةِ المَكْسيكِ أَنَّ المُسْتَنَداتِ لَمْ تَكُنْ سَليمَةً ، وَأَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَذْهَبْ إِلى المَطارِ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَرَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ مُطْلَقاً هَذَيْنِ الصُّنْدوقَيْنِ .

وَكانَ الصُّنْدوقانِ في الطّائِرَةِ صَباحَ اليَوْمِ ، وَلَكِنَّهُما كانا مَفْتوحَيْنِ فارِغَيْنِ . وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ بَصَماتُ أَصابِعَ سِوى بَصَماتِ الحارِسِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِمَ النَّهارُ ، ذَهَبَ الصَّحَفِيّونَ إِلى المُسْتَشْفى لِيَسْأَلوا الحارِسَ ، فَقالَ :

« كُنْتُ جالِساً بَيْنَ الصُّنْدوقَيْنِ أَقْرَأُ صَحيفَةً ، وَفَجْأَةً فُتِحَ أَحَدُ الصُّنْدوقَيْنِ ، وَخَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ مُقَنَّعُ الوَجْهِ ، فَشَهَرْتُ مُسَدَّسي ، وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَلْمَحَ في الصُّنْدوقِ مِظَلّاتِ الهُبوطِ ، وَضُرِبْتُ مِنَ الخَلْفِ ، وَلَمّا أَفَقْتُ وَجَدْتُ نَفْسي في المُسْتَشْفى .»

وَيَتَساءَلُ النّاسُ : لِماذا اسْتَخْدَمَ لُصوصُ الذَّهَبِ المِظَلّاتِ ؟ لِماذا لَمْ يَخْتَطِفوا الطّائِرَةَ ؟ رُبَّما كانَ هُناكَ سَبَبٌ وَجيهٌ ، وَهُوَ أَنَّ المِظَلّاتِ تَسْتَطيعُ الهُبوطَ في أَماكِنَ لا تَسْتَطيعُ الطّائِراتُ الهُبوطَ فيها .

وَيَبْحَثُ رِجالُ الشُّرْطَةِ في عَشْرِ وِلاياتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، بِالإِضافَةِ إِلى رِجالِ شُرْطَةِ المَكْسيكِ عَنِ اللُّصوصِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى أَحَدٍ حَتّى الآنَ ، وَلا حَتّى عَلى سَبيكَةٍ واحِدَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، أَوْ حَتّى قِطْعَةٍ صَغيرَةٍ مِنْ مِظَلَّةٍ .

وَهَذِهِ هِيَ سَرِقَةُ الذَّهَبِ الخامِسَةُ هَذا العامَ ، وَقَدِ انْتابَ القَلَقُ مَكْتَبَ المَباحِثِ الاتِّحادِيَّ ، وَكَذَلِكَ رِجالَ الشُّرْطَةِ في الوِلاياتِ الأُخْرى .

مَنْ هُوَ زَعيمُ هَذِهِ العِصابَةِ ؟ أَيْنَ أَخْفى الذَّهَبَ ؟ ماذا سَيَفْعَلُ بِهِ ؟ أَيْنَ سَيُوَجِّهُ الضَّرْبَةَ التّالِيَةَ ؟

السّطو على الذهب

الفصل الأول

أمْضى جو بروك يَوْمَهُ بِمَقَرّ جَريدَةِ (الدّيلي نُيوز) بِلَنْدَن بِجوارِ التّليفونِ ، وَقَدْ تَلَقّى تَقاريرَ مُراسِلِ الجَريدَةِ في نيويورك عَنْ حادثِ سَرِقَةِ الذّهَبِ . وَلكِنّ جو كانَ لا يَروقُهُ هَذا الأسْلوبُ في كِتابَتِهِ لِقِصَصِ الحَوادِثِ . لِذا فَما إنْ وَصَلَتْ أخْبارُ هَذِهِ السّرِقَةِ إلى فليت ستريت – شارِعِ الصّحافَةِ في لَنْدَن ؛ حَتّى هُرِعَ إلى رَئيسِهِ المُحَرّرِ دِك كليغ ، قائِلاً لَهُ :

« أرْسِلْني الآنَ ، يا ديك ، إلى نيويورك !»

لكِنّ دِك كليغ رَفَضَ أنْ يُحَقّقَ لَهُ رَغْبَتَهُ عَلى الفَوْرِ ، فَغَضِبَ جو لِرَفْضِ طَلَبِهِ ، وَهُوَ الّذي يَشْتَري الكَثيرونَ مِنَ القُرّاءِ جَريدَةَ

الدّيلي نيوز لِقِراءَةِ قِصَصِهِ ، فَضْلاً عَنْ أنّهُ قامَ بِالعَديدِ مِنَ المُغامَراتِ الّتي لَمْ يَتَسَنّ لِمُراسِلٍ صَحَفِيٍّ آخَرَ مِنْ إنْجِلْترا أنْ يَقومَ بِها . وَقَدْ قَدّمَ خِدْماتٍ جَليلَةً لِرِجالِ الشُّرْطَةِ في كَثيرٍ مِنَ البُلْدانِ ، وَلكِنّ مُغامَراتِهِ هَذِهِ كانَتْ سَبَباً في تَعْريضِ حَياتِهِ لِبَعْضِ المَخاطِرِ ، كَما حَدَثَ حينَ أنْقَذَهُ رِجالُ المَطافِئِ مِنْ أعْلى قِمّةِ إحْدى ناطِحاتِ السّحابِ وَهِيَ تَشْتَعِلُ . كَذلِكَ أنْقَذَهُ أهالي الهِنْدِ مِنْ تَحْتِ أقْدامِ فيلٍ هائِجٍ في البِنْغالِ . غَيْرَ أنّ جو لَمْ يَكُنْ يَعْبَأ بِالمَخاطِرِ ما دامَ سَيَفوزُ في النّهايَةِ بِقِصّةٍ مُثيرَةٍ .

وَعادَ جو مَساءً إلى شَقّتِهِ الوَثيرَةِ بِحَيّ كينسنغتون ، وَكانَ الغَضَبُ لا يَزالُ مُسَيْطِراً عَلَيْهِ . وَأخَذَ يَتَأمّلُ اللّوْحاتِ المُعَلّقَةَ عَلى الحائِطِ ، وَكانَتْ صُوَراً فوتوغْرافِيّةً لِلْمُعْجَبينَ بِهِ ؛ فَهَذِهِ دانييل ميرڤيل نَجْمَةُ السّينما الشّهيرَةُ ، الّتي أنْقَذَ حَياتَها مِنْ أفْعى كانَتْ عَلى مَقْرُبَةِ عِشْرينَ سَنْتيمِتْراً مِنْها ! وَهؤُلاءِ خَمْسُ يابانِيّاتٍ صَغيراتٍ مِنْ طالِباتِ المَدارِسِ ، أنْقَذَهُنّ أثْناءَ زِلْزالٍ مُدَمّرٍ ! وَتِلْكَ صُوَرٌ لِمُجْرِمينَ مُعْتادي الإجْرامِ ، ساعَدَ الشُّرْطَةَ في القَبْضِ عَلَيْهِمْ . وَكانَ يَتَمَنّى لَوْ أضافَ إلَيْهِمْ صُوَرَ لُصوصِ الذّهَبِ .

وَأطَلّ جو مِنَ النّافِذَةِ ، وَكانَ الجَوُّ بارِداً رَطْباً ، وَالمَطَرُ يَنْهَمِرُ

بِغَزارَةٍ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « أَقْضي شَهْرَ يَنايِرَ في إِنْجِلْترا ، عَلى حينِ أَسْتَطيعُ أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِشَمْسِ لويزْيانا ! »

وَاسْتَراحَ عَلى أَحَدِ المَقاعِدِ ، وَأَخَذَ يَحْتَسي فِنْجانًا مِنَ الشّاي . وأدارَ مِفْتاحَ الرّادْيو ، فَسَمِعَ المُذيعَ بِصَوْتِهِ المَألوفِ :

« السّاعَةُ الآنَ السّادِسَةُ . إِلَيْكُمْ نَشْرَةَ الأَخْبارِ . حادِثُ سَرِقَةِ الذَّهَبِ ...» وأغْلَقَ جو الرّادْيو في غَضَبٍ . وَفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ دَقَّ جَرَسُ التِّليفونِ ، فَهَبَّ واقِفًا . وَكانَ المُتَحَدِّثُ هُوَ بوب سلاتيري ، الَّذي بادَرَ جو بِقَوْلِهِ : « لا بُدَّ أَنْ أَراكَ حالاً . أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ مِنْ مَطارِ لَنْدَن . سَأَحْضُرُ إِلَيْكَ بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ .»

وَكانَ بوب سلاتيري واحِداً مِنْ أَصْدِقاءِ جو القُدامى ، وَيَعْمَلُ بِشَرِكَةٍ لإِنْشاءِ الجُسورِ ، وَقامَ بِزِيارَةِ العَديدِ مِنْ بُلْدانِ العالَمِ . وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ أُسْبوعَيْنِ فَقَطْ بِبِطاقَةِ تَحِيَّةٍ مِنْ نيو أورليانز ، حَيْثُ وَصَفَ فيها الطَّعامَ الشَّهِيَّ ، وَقُلوبَ أَهْلِ الجَنوبِ الرَّقيقَةَ . وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا عَنْ أَيَّةِ مَتاعِبَ أَوْ مَخاطِرَ صادَفَتْهُ . وَاشْتَمَّ جو بِحاسَّتِهِ رائِحَةَ مُغامَرَةٍ مُمْتِعَةٍ مُفْعَمَةٍ بِالإِثارَةِ .

وَ وَصَلَ بوب بَعْدَ ساعَةٍ . وَلاحَظَ جو لِلْوَهْلَةِ الأولى أَنَّ شَيْئًا ما قَدْ حَدَثَ لَهُ ، إِذْ لَمْ يُبادِرْهُ وَلَوْ بِتَحِيَّةٍ عابِرَةٍ . وَأَلْقى بوب حَقيبَةَ



سَفَرِهِ وَمَضى نَحْوَ النّافِذَةِ ، وَأَزاحَ السِّتارَ بِحَذَرٍ شَديدٍ ، ثُمَّ قالَ وَهُوَ يُشيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلى الشّارِعِ :

« انْظُرْ ، يا جو ، أ تَرى تِلْكَ السَّيّارَةَ (الجاغوار) الَّتي تَقِفُ خَلْفَ سَيّارَتِكَ (الأستون مارتن) ؟ لَقَدِ اقْتَفَتْ أَثَرَ السَّيّارَةِ الأُجْرَةِ الَّتي أَوْصَلَتْني مِنَ المَطارِ إِلى هُنا ؟»

سَأَلَهُ جو : « هَلْ تَعْرِفُ قائِدَ هَذِهِ السَّيّارَةِ ؟»

أَجابَ بوب بِتَمَهُّلٍ : « أَعْتَقِدُ ذَلِكَ .»

وأخرجَ سيجارةً أشعلَها ، فلاحظَ جو يدَهُ المُرتجفةَ ، ثُمَّ أردفَ بوب : « أعتقدُ أنّهُ واحدٌ مِنْ عِصابةِ لُصوصِ الذّهبِ ! »

صاحَ جو : « ماذا ؟ »

تابعَ بوب حديثَهُ قائلاً : « لستُ متأكّدًا بالطّبعِ ، ولكنّي اكتشفتُ منذُ يومينِ شيئًا غريبًا في نيو أورليانز ، ومِنْ ذلكَ الوقتِ وثمّةَ شخصٌ ما يُتابعُني كظِلّي . »

صاحَ جو : « منذُ يومينِ ؛ أي قبلَ حادثِ سرقةِ الذّهبِ بيومٍ واحدٍ ! هلْ تعرفُ ذلكَ الشّخصَ ؟ أقصدُ هلْ هُوَ هذا الرّجلُ الّذي في السّيّارةِ الجاغوار الآنَ ؟ »

أجابَ بوب : « لا أعرفُ ، فلمْ يسبقْ لي أنْ رأيتُ وجهَهُ مِنْ قبلُ ؛ إذْ إنّهُ يحتاطُ للأمرِ . وأعتقدُ أنَّ مَنْ يُراقبُني اثنانِ أوْ ثلاثةُ أشخاصٍ ، ولكنّي موقنٌ مِنْ أنّهُمْ جميعًا مُسلّحونَ . وأقولُ لكَ الحقَّ إنّي قلّما أحسستُ بالخوفِ ، ولكنّي الآنَ مُرتعبٌ ! »

سألَهُ جو : « أترغبُ في تناولِ مشروبٍ ؟ »

وأخذَ بوب يحتسي القهوةَ الّتي قدّمها لهُ جو ، ثُمَّ التقطَ حقيبتَهُ وفتحَها ، وأخرجَ منها شيئًا معدنيًّا صغيرًا ، وناولَهُ لجو قائلاً :

« هذا هُوَ الشّيءُ الّذي يُريدونَ . »

سألَهُ جو في دهشةٍ : « نموذجٌ مُجسّمٌ لِمبنى ناطحةِ السّحابِ إمْباير ستيت ؟ »

أجابَ بوب : « نعمْ ، ولكنِ انظُرْ إليهِ بإمعانٍ . »

وفحصَ جو النّموذجَ ، فوجدَهُ صغيرًا إلى حدٍّ كبيرٍ ، ولكنّهُ ثقيلٌ جدًّا ، وهُوَ مُغطّى بطبقةٍ مِنَ النّيكل فوقَ معدنٍ أصفرَ يتألّقُ بريقُهُ .

صاحَ جو : « ذهبٌ ؟ »

قالَ بوب : « نعمْ ، ذهبٌ . وأصدقاؤنا في السّيّارةِ الجاغوار يُريدونَ استعادتَهُ . ولعلّكَ الآنَ تعرفُ سببَ ذلكَ ! »

اتّجهَ جو نحوَ النّافذةِ ، وأطلَّ مِنْ بينِ السّتائرِ . كانتِ السّيّارةُ الجاغوار في مكانِها ، ولكنّهُ لمْ يستطعْ أنْ يتبيّنَ قائدَها . وتساءلَ تُرى هلْ ما زالَ أفرادُ العصابةِ في السّيّارةِ أمْ مُختفينَ في ظِلالِ الحدائقِ على مقربةٍ مِنَ الطّريقِ ؟

وصبَّ جو لنفسِهِ فنجانًا مِنَ القهوةِ ، ثُمَّ جلسَ بجانبِ صديقِهِ . وألقى نظرةً فاحصةً على نموذجِ مبنى إمباير ستيت الموضوعِ أمامَهُما

على المَنْضَدَةِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ : « أينَ وَجَدْتَهُ ، يا بوب ؟ »

أجابَ بوب : « في الحيِّ الفَرَنْسِيِّ ، فَحينما كُنْتُ أسيرُ على مَهلٍ خِلالَ الشَّوارِعِ القَديمَةِ الضَّيِّقَةِ ، لَمَحْتُ شَيْئاً لامِعاً على جانِبِ الطَّريقِ ، وَكانَ هَذا النَّموذَجَ . »

سَأَلَهُ جو : « وَهَلْ أَدْرَكْتَ أَنَّهُ مَصنوعٌ مِنَ الذَّهَبِ ؟ »

رَدَّ بوب : « أَجَلْ فَلَدَيَّ قَدْرٌ مِنَ المَعْرِفَةِ عَنِ المَعادِنِ . وَعِنْدَما أَزَلْتُ بَعْضَ النّيكَلِ مِنْ أَسْفَلِ النَّموذَجِ ، صِحْتُ في ذُهولٍ ، وَاسْتَوْقَفَ ذَلِكَ أَحَدَ رِجالِ الشُّرْطَةِ ، وَسَأَلَني إذا ما كُنْتُ أُعاني أَمْراً . وَأَرَيْتُهُ النَّموذَجَ قائِلاً : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الذَّهَبِ . » فَقَهْقَهَ الشُّرْطِيُّ وَهُوَ يَقولُ : « إنَّ الذَّهَبَ لا تَعْثُرُ عَلَيْهِ في الشَّوارِعِ ! وَإذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الحَقيقَةَ فَاذْهَبْ بِهِ إلى مَحَلِّ الصّائِغِ هُناكَ ! » »

سَأَلَهُ جو : « وَهَلْ أَيَّدَ الصّائِغُ اسْتِنْتاجَكَ ؟ »

أجابَ بوب : « لا ؛ فَبَعْدَ أَنْ أَلْقى نَظْرَةً سَريعَةً على النَّموذَجِ ، قالَ إنَّهُ نُحاسٌ مُغَطًّى بِالنّيكَلِ ؛ فَذَهِلْتُ وَتَفَرَّسْتُ في وَجْهِهِ ، فَوَجَدْتُهُ شَديدَ الشُّحوبِ ، وَكانَ الرَّجُلُ مُضْطَرِباً ، فَقُلْتُ لَهُ : « حَسَنٌ ، سَآخُذُهُ إلى مَحَلٍّ آخَرَ . »

« وَأَخَذْتُ النَّموذَجَ ، وَقَبْلَ أَنْ أُغادِرَ المَكانَ ، ناداني الرَّجُلُ وَقالَ : « سَأُعْطيكَ خَمْسينَ دولاراً . » وَصاحَ الشُّرْطِيُّ وَكانَ قَدْ تَبِعَني : « خَمسونَ دولاراً ! إنَّهُ مَبْلَغٌ كَبيرٌ . »

قالَ الصّائِغُ بِسُرْعَةٍ مُوَضِّحاً : « أَعْرِفُ رَجُلاً يَجْمَعُ هَذِهِ النَّماذِجَ . » »

سَأَلَهُ جو : « وَماذا فَعَلَ الصّائِغُ حينَ رَفَضْتَ عَرْضَهُ ؟ »

رَدَّ بوب : « امْتَدَّتْ يَدُهُ فَوْراً إلى جَيْبِهِ ، وَإنّي لَمُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ كانَ مُسَلَّحاً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى إبْرازِ سِلاحِهِ ؛ لأَنَّ الشُّرْطِيَّ كانَ مَوْجوداً . »

سَأَلَ جو : « هَلْ يُمْكِنُكَ التَّعَرُّفُ على هَذا الرَّجُلِ ؟ »

أجابَ بوب : « لا أَظُنُّ ذَلِكَ . وَلَكِنّي أَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ يَتَحَدَّثُ بِلَهْجَةٍ فَرَنْسِيَّةٍ . »

قالَ جو : « هَذا لَيْسَ شَيْئاً غَيْرَ عادِيٍّ في نيو أورليانز . وَمَحَلُّ الصّائِغِ هَلْ تَذْكُرُهُ ؟ »

« المَحَلُّ ؟ أَجَلْ أَذْكُرُهُ ، كانَ غايَةً في الغَرابَةِ ، لا توجَدُ لافِتَةٌ على بابِهِ ، وَهُوَ قَديمٌ وَمُتَّسِخٌ ، وَالبِضاعَةُ المَعْروضَةُ بِهِ قَليلَةٌ ،

والرُّفوفُ خاوِيَةٌ وَتُغطّيها الأتْرِبَةُ ، وَرائِحَةُ زُيوتِ الآلاتِ تَفوحُ مِنْ حُجُراتِهِ الدّاخِلِيَّةِ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أرى الفِناءَ الدّاخِلِيَّ ، فَقَدْ حَجَبَتْهُ سِتارَةٌ سَميكَةٌ عُلِّقَتْ عَلى النّافِذَةِ الجانِبِيَّةِ .»

« أَلَمْ تَذْكُرْ شَيْئًا لِلشُّرْطِيِّ ؟»

« إنَّهُ لَمْ يُلاحِظْ شَيْئًا . وَكانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ لُعْبَةِ البيسبول حينَ خَرَجْنا مِنْ مَحَلِّ الصّائِغِ . وَلكِنْ طَرَقَتْ أُذُنَيَّ أَصْواتٌ مُنْبَعِثَةٌ مِنْ مُؤَخِّرَةِ المَحَلِّ .

« وَبَعْدَ أَنْ مَضى الشُّرْطِيُّ ، نَظَرْتُ خَلْفي ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً يَخْرُجُ مِنْ بابِ المَحَلِّ ، وَيَجْري صَوْبَ شارِعٍ جانِبِيٍّ ، وَمُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَأنا عَلى يَقينٍ تامٍّ بِأَنَّ هُناكَ مَنْ يَتْبَعُني .»

صاحَ جو : « أَلَمْ تُبَلِّغِ الشُّرْطَةَ ؟»

« لَمْ يَكُنْ ثَمَّ وَقْتٌ ، وَقَدْ قَفَزْتُ إلى أَوَّلِ سَيّارَةِ أُجْرَةٍ صادَفَتْني ، وَذَهَبْتُ إلى الفُنْدُقِ الّذي أَنْزِلُ بِهِ ، ثُمَّ إلى المَطارِ ؛ فَلَمْ يَكُنْ في نِيَّتي أَنْ أَبْقى في نيو أورليانز ، وَأَتْرُكَ رِجالَ العِصاباتِ يَغْتالونَني .»

« مَتى سَمِعْتَ عَنْ سَرِقَةِ الذَّهَبِ ؟»

« هذا المَساءَ ، حينَ وَصَلْتُ إلى مَطارِ لَنْدَن ، وَقَرَأْتُ تَحْقيقَكَ في الدّيلي نيوز .»

« لِمَ لَمْ تَذْهَبْ مِنْ فَوْرِكَ إلى اسْكُوتْلَنْد يارْد ؟»

فَرَغَ بوب سلاتيري مِنِ احْتِساءِ قَهْوَتِهِ ، وَحَدَّقَ إلى جو قائِلاً :

« هَلْ كُنْتَ تَذْهَبُ إلى الشُّرْطَةِ ، يا جو ، لَوْ كُنْتَ مَكاني ؟ إنّي لَمُتَأَكِّدٌ تَمامًا أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِتَفْعَلَ ذلِكَ . فَلَوْ أَنّي ذَهَبْتُ إلى اسْكُوتْلَنْد يارْد لَعَلِمَ مَنْ يَتْبَعُني بِذلِكَ وَاخْتَفى ، وَمِنْ ثَمَّ تَضيعُ فُرْصَتُنا في القَبْضِ عَلَيْهِ مَعَ باقي أَفْرادِ العِصابَةِ . وَيُمْكِنُنا أَنْ نَقومَ بِذلِكَ مَعًا .»

قَفَزَ جو وَعَيْناهُ تَبْرُقانِ ، ثُمَّ سَأَلَ : « إلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِبٌ ، يا بوب ؟»

« إلى النّادي في بول مول .»

قالَ جو : « سَوْفَ أَسْتَدْعي لَكَ سَيّارَةَ أُجْرَةٍ بِالتّليفونِ . وَالأَفْضَلُ أَنْ تَذْهَبَ إلى ناديكَ وَتَبْقى هُناكَ . أَمّا أنا فَسَأَكونُ ظِلَّكَ الّذي يَتْبَعُكَ . وَإذا لَمْ تَتَلَقَّ مِنّي رِسالَةً قَبْلَ السّاعَةِ التّاسِعَةِ صَباحًا ، فَاتَّصِلْ بِاسْكُوتْلَنْد يارْد .»

الفصل الثاني

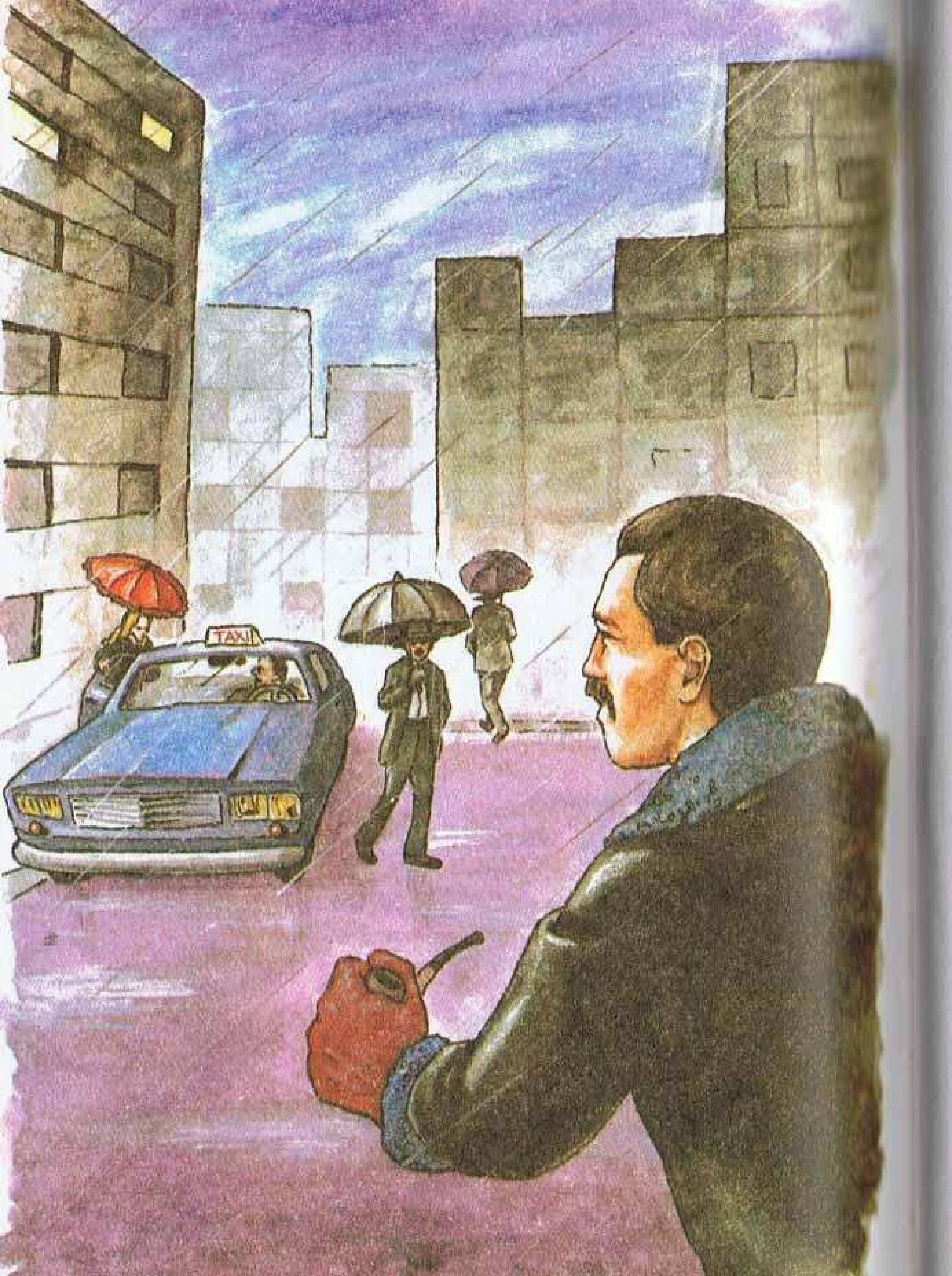
وصلتْ سيّارةُ الأجْرةِ في السّاعةِ السّابعةِ والنّصفِ . ودقّ السّائقُ جرَسَ البابِ ، وأطلّ جو منَ النّافذةِ ، وقالَ : « انْتظرْ ، يا بوب ، إنّني أرى اثْنيْنِ منْ رجالِ الشُّرْطةِ . اصْعدْ إلى السّيّارةِ لحظةَ مرورِهما بِالمنْزِلِ ، وعِنْدئذٍ لا يجْرُؤُ أصْدقاؤنا في السّيّارةِ الجاغوار على عملِ شيْءٍ !»

وبعْدَ دقيقتيْنِ مرّ رجُلا الشُّرْطةِ ؛ فقفزَ بوب سريعاً إلى السّيّارةِ ، وسمعَ جو صوْتَها وهيَ تبْتعِدُ . وفي الوقْتِ نفسِهِ تقْريباً طرقَ أذُنَهُ صوْتُ سيّارةٍ أخْرى ؛ فأدْركَ أنّها الجاغوار . وانْتظرَ جو بِضْعَ ثوانٍ ، فقدْ كانَ حريصاً على ألا يلْمحَهُ منْ يُراقبونَ بوب كظِلِّهِ . وعِنْدما فتحَ بابَ شقّتِهِ ، كانتِ السّيّارةُ الجاغوار قدِ اخْتفَتْ لِتوِّها في المنْعطَفِ الواقعِ بِنهايةِ الطّريقِ .

وتفحّصَ جو الطّريقَ الّذي تكْتنِفُهُ الحدائِقُ المُظْلِمةُ ، فلَمْ يسْتطِعْ أنْ يرى شيئاً بيْنَ الأشْجارِ ، ولَمْ يسْمعْ سِوى صوْتِ المطرِ . وقفزَ إلى سيّارتِهِ الأسْتون مارتن ، ومضى إلى حيٍّ وِسْت إنْد . ونظرَ خلْفَهُ فلَمْ يجِدْ أحداً يتْبعُهُ ، فأوْقفَ سيّارتَهُ في شارِعٍ جانبيٍّ بِالقُرْبِ مِنْ ميْدانِ بيكاديللي ، ثُمَّ مشى إلى نادي بول مول . ولِدهْشتِهِ وجدَ السّيّارةَ الجاغوار واقِفةً على بُعْدِ عِشْرينَ متْراً مِنَ البابِ الأماميِّ لِلنّادي . واسْتطاعَ أنْ يرى ثلاثةَ رِجالٍ بِداخِلِها .

واخْتبأَ جو في الظِّلالِ القاتِمةِ على مقْربةٍ مِنْ بابِ النّادي بِأمْتارٍ قليلةٍ ، وكانَ المطرُ لا يزالُ يتساقطُ . وأخْرجَ غلْيونَهُ المُفضّلَ وملأهُ بِالتّبغِ الأسْودِ . ولِكوْنِهِ يرْتدي معْطفَهُ الجِلْديَّ السّميكَ ، لمْ يُلْقِ بالاً لِلْمطرِ أوِ البرْدِ .

وملأ جو غلْيونَهُ ثلاثَ مرّاتٍ ، وأخذَ يرْقُبُ الرِّجالَ ، وقدْ تجلّوْا في أحْسنِ هِندامٍ ، وهُمْ يدْخلونَ أوْ يخْرُجونَ مِنَ النّادي . كما كانتْ سيّاراتُ الأجْرةِ ، وأتوبيساتُ مدينةِ لنْدنَ الكبيرةُ الحمْراءُ تمرُّ أمامَهُ ، واحِدةً تِلْوَ الأخْرى . ومضتْ مجْموعاتٌ مِنَ النّاسِ تمْشي سريعاً فوْقَ الإفْريزِ ، وقدِ احْتمتْ بِالمِظلّاتِ مِنَ المطرِ ، ولكِنَّ أبْوابَ



السَّيَّارَةِ الجاغوار لَمْ تُفْتَحْ .

وَكانَتِ السَّاعَةُ العاشِرَةَ وَالنِّصْفَ حينَ مَلأَ جو غَلْيونَهُ لِلْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ . وَ وَقَفَتْ أمامَهُ سَيّارَةُ أجْرَةٍ ، وَهَبَطَتْ مِنْها فَتاةٌ في رِداءٍ قَصيرٍ ، وَكانَتْ رائِعَةَ الجَمالِ ، في نَحْوِ الخامِسَةِ وَالعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها . وَكانَتْ عابِسَةَ الوَجْهِ ، وَلكِنَّها ذاتُ شَعْرٍ طَويلٍ أشْقَرَ . وَما كادَتْ تَخْطو خُطْوَةً عَلى الإفْريزِ ، حَتَّى انْزَلَقَتْ قَدَماها وَسَقَطَتْ . وَجَرى جو نَحْوَها وَقَدْ نَسِيَ تَماماً مَسْألَةَ السَّيّارَةِ الجاغوار ، وَلكِنَّ رَجُلاً ذا مِعْطَفٍ مِنَ الفِراءِ سَبَقَهُ إلَيْها .

وَمَدَّ الرَّجُلُ ، الَّذي لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ غَيْرُ ظَهْرِهِ ، يَدَهُ لِلْفَتاةِ ، وَ وَقَفَتْ بِبُطْءٍ ، وَقَدْ أُصيبَتْ بِشَجٍّ تَحْتَ أُذُنِها اليُسْرى ، وَلكِنْ يَبْدو أنَّ إصابَتَها كانَتْ طَفيفَةً . وَأخْرَجَتْ مِنْديلاً مِنْ حَقيبَتِها وَ وَضَعَتْهُ عَلى الجُرْحِ ، ثُمَّ تَمْتَمَتْ بِشَيْءٍ ما لِلرَّجُلِ ، وَمَضَتْ مُسْرِعَةً نَحْوَ مَيْدانِ ترافلغار . وَبَدا عَلى الرَّجُلِ الدَّهَشُ مَقْروناً بِالغَضَبِ ، وَرَدَّدَ قائِلاً : « نِساءٌ ! » وَاسْتَدارَ فَجْأَةً مُتَّجِهاً إلى السَّيّارَةِ الجاغوار . وَأطَلَّ رَأْسٌ مِنْ نافِذَتِها ، فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ ذو الفِراءِ شَيْئاً ، وَنَشِبَتْ مُشادَّةٌ عَنيفَةٌ . وَأخيراً فُتِحَ بابُ السَّيّارَةِ ، وَخَرَجَ مِنْها رَجُلٌ ضَئيلُ الجِسْمِ

يَرْتَدي مِعطفاً أسْوَدَ وَهُوَ يَصيحُ : « لا أسْتَطيعُ أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ ، يا كارلو ! إنّها ...»

قاطَعَهُ الرَّجُلُ ذو الفِراءِ قائِلاً : « اهْدَأ ! إنّي أعْرِفُ أفْضَلَ مِمّا تَعْرِفُ امْرَأةٌ !»

وَاسْتَمَرَّ الاثْنانِ يَتَبادَلانِ الحَديثَ الغاضِبَ في صَوْتٍ خَفيضٍ . وَأسْرَعَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ إلى بَوّابِ النّادي ، وَبِيَدِهِ حَقيبَةُ أوْراقٍ مِنَ النَّوْعِ الَّذي يَسْتَخْدِمُهُ رِجالُ الأعْمالِ ، وَلَكِنْ بَدا مِنْ شَكْلِها الخارِجِيِّ أنّها تَحْوي أشْياءَ ضَخْمَةً ثَقيلَةً . وَفَجْأةً أحَسَّ جو بِالقَلَقِ ، وَسَألَ نَفْسَهُ مُتَعَجِّباً : « تُرى هَلْ يَتَذَكَّرُ بَوّابُ النّادي تَعْليماتِ بُوب ؟ وَهَلْ يَمْنَعُ الرَّجُلَ الضَّئيلَ مِنَ الدُّخولِ ؟» وَأنْصَتَ فَسَمِعَ الرَّجُلَ يَقولُ بِصَوْتٍ عالٍ : « أنا صَديقٌ لِلسَّيِّدِ سلاتيري .»

رَدَّ البَوّابُ : « السَّيِّدُ سلاتيري لا يُمْكِنُهُ مُقابَلَةُ أحَدٍ اللَّيْلَةَ .»

قالَ الرَّجُلُ : « وَلَكِنَّهُ يَنْتَظِرُني ، وَلا بُدَّ أنْ أراهُ .»

وَأعادَ البَوّابُ قَوْلَهُ : « آسِفٌ ، يا سَيِّدي ! إنَّهُ مَشْغولٌ .»

وَعادَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ إلى السَّيّارَةِ الجاغوار ، وَبَدَأ مُشاجَرَتَهُ ثانِيَةً مَعَ كارلو . وَخُيِّلَ لِجو لِلَحْظَةٍ أنَّ الرَّجُلَيْنِ سَيَتَعارَكانِ . وَرَكَلَ كارلو الرَّجُلَ الضَّئيلَ بِقَدَمِهِ رَكْلَةً قَوِيَّةً ؛ فَصاحَ مُتَألِّماً ، إلّا أنَّهُما

لَمْ يَرْفَعا صَوْتَيْهِما ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ جو أنْ يَسْمَعَ كَلِمَةً واحِدَةً . وَأخيراً صَعِدَ الرَّجُلُ الضَّئيلُ إلى السَّيّارَةِ الجاغوار ، وَأغْلَقَ بابَها بِعُنْفٍ . وَأشْعَلَ كارلو سيجاراً ، وَألْقى نَظْرَةً أخيرَةً عَلى بابِ النّادي ، ثُمَّ سارَ مُبْتَعِداً إلى مَيْدانِ بيكاديللي .

وَقَرَّرَ جو سَريعاً أنْ يَقْتَفِيَ أثَرَ كارلو ، الَّذي سارَ مُسْرِعاً إلى هاي ماركِت ، في اتِّجاهِ مَيْدانِ بيكاديللي . وَمَشى جو خَلْفَهُ عَشَرَةَ أمْتارٍ أوْ أكْثَرَ دونَ أنْ يَلْحَظَهُ كارلو ، وَلَكِنْ بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ ألْقى كارلو سيجارَهُ ، وَوَضَعَ كِلْتا يَدَيْهِ في جَيْبَيْهِ .

تَساءَلَ جو مُتَعَجِّباً : « تُرى هَلْ مَعَهُ مُسَدَّسانِ ؟»

وَتَوَقَّفَ كارلو عِنْدَ بِدايَةِ دَرَجاتِ النَّفَقِ المُؤَدّي إلى مترو الأنْفاقِ. وَأمَّلَ جو في أنْ يَتَلَفَّتَ حَوْلَه لِكَيْ يَتَبَيَّنَ وَجْهَهُ ، وَلَكِنَّهُ جَرى فَجْأةً هابِطاً الدَّرَجاتِ ثُمَّ اخْتَفى .

وَعَدا جو خَلْفَهُ ، وَطَفِقَ يَبْحَثُ عَنْهُ بَيْنَ جُموعِ النّاسِ ، الَّتي كانَتْ تَعِجُّ بِهِمُ القاعَةُ المُسْتَديرَةُ الكَبيرَةُ أسْفَلَ مَيْدانِ بيكاديللي . وَقالَ جو لِنَفْسِهِ في غَضَبٍ : « لَقَدْ فَقَدْتُ أثَرَهُ !»

وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَمَحَ كارلو مَرَّةً أخْرى وَهُوَ يُغادِرُ القاعَةَ مِنْ أحَدِ المَمَرّاتِ ، الَّتي تَقَعُ في الجانِبِ الآخَرِ مِنْها .

تُرى هَلْ أحَسَّ بِأنَّ أحَداً يَتْبَعُهُ ؟

وَسارَ جو خَلْفَهُ ، وَكانَ مَيْدانُ بيكاديللي يَضِجُّ بِالاسْكُتْلَنْدِيّينَ الَّذينَ وَفَدوا إلى لَنْدَن لِمُشاهَدَةِ المُباراةِ الكُبْرى لِكُرَةِ القَدَم ضِدَّ مُنْتَخَبِ إنْجِلْترا ، وَالَّتي تُقامُ بِويمْبلي في اليَوْمِ التّالي . وَكانوا يَصْخَبونَ وَيُنْشِدونَ الأناشيدَ ، وَرِجالُ الشُّرْطَةِ يُحاوِلونَ تَفْريقَهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ لا يَسْتَجيبونَ .

اِقْتَحَمَ كارلو الجَمْعَ ، وَخاضَ خِلالَ شَوارِعِ سوهو المُظْلِمَةِ ، الَّتي تَقَعُ شَمالَ مَيْدانِ بيكاديللي ، وَالَّتي تُعْتَبَرُ مِنْ أَغْرَبِ بَلْ وَأَخْطَرِ أَحْياءِ لَنْدَن ، وَتَشْتَهِرُ بِمَطاعِمِها وَنَواديها اللَّيْلِيَّةِ .

وَحَثَّ كارلو خُطاهُ ، وَقَدِ اسْتَقَرَّتْ يَداهُ داخِلَ جَيْبَيْهِ . وَخَلَتِ الشَّوارِعُ إلا مِنْ نَفَرٍ قَليلٍ . وَكانَتْ أَبْوابُ النَّوادي اللَّيْلِيَّةِ مَفْتوحَةً ، غَيْرَ أَنَّ مُعْظَمَ المَطاعِمِ قَدْ أَغْلَقَتْ أَبْوابَها وَأَضاءَتْ أَنْوارَها . وَفي ظِلالِ الشَّوارِعِ الضَّيِّقَةِ وَقَفَ رِجالٌ يَتَحَدَّثونَ ، وَلٰكِنَّهُمْ كانوا يَتَحَرَّكونَ حينَ يَلوحُ رِجالُ الشُّرْطَةِ .

وَفَجْأَةً انْحَرَفَ كارلو إلى مَمَرٍّ مُظْلِمٍ بالِغِ الضِّيقِ ، يَكادُ يَخْلو مِنَ المارَّةِ . وَكانَتِ الأَبْوابُ القَليلَةُ الَّتي تُطِلُّ عَلَيْهِ مُغْلَقَةً ، وَخَلَتِ النَّوافِذُ مِنَ الأَضْواءِ . وَلامَ جو نَفْسَهُ لأَنَّهُ نَسِيَ هِراوَتَهُ بِالمَنْزِلِ ، وَالَّتي

كانَتْ سَبَبًا في إنْقاذِ حَياتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، وَقَدِ اعْتادَ أَنْ يَصْطَحِبَها مَعَهُ في مِثْلِ هٰذِهِ الحالاتِ .

وَنَظَرَ جو إلى يَدَيْهِ الكَبيرَتَيْنِ وَالفولاذِيَّتَيْنِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « آهٍ لَوْ أَسْتَطيعُ الاقْتِرابَ مِنْهُ بِما يَكْفي ! »

وَسارَ في المَمَرِّ . وَبَدا واضِحًا أَنَّ كارلو سَمِعَ وَقْعَ خُطُواتِهِ ، فَأَخَذَ يَعْدو ، وَبَدَأَ جو يَعْدو خَلْفَهُ . وَفَجْأَةً وَصَلَ كارلو إلى ناصِيَةٍ ، فَتَوَقَّفَ وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَقَعَ ضَوْءٌ نافِذٌ مِنْ إحْدى الغُرَفِ عَلى أَرْضِ المَمَرِّ ؛ فَرَأى جو وَجْهَ كارلو لِلْمَرَّةِ الأولى . لَمْ



يَكُنْ قَدْ رَأى في حَياتِهِ كُلِّها وَجْهاً أَبْشَعَ مِنْهُ ! كانَ رَأْسُهُ عارِيًا مِنَ الشَّعْرِ ، وَآثارُ جُرْحٍ غائِرٍ يَشُقُّ وَجْهَهُ بِطولِهِ .

وَانْطَلَقَتْ فَجْأَةً سِكّينٌ في الهَواءِ .

وَتَمَكَّنَ جو – في الوَقْتِ المُناسِبِ – مِنْ أَنْ يَقْفِزَ جانِبًا ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ بِأَلَمٍ مُفاجِئٍ بِذِراعِهِ اليُمْنى . وَسَمِعَ – وَهُوَ يَسْقُطُ – صَوْتَ السِّكّينِ وَهِيَ تَسْتَقِرُّ في البابِ الخَشَبِيِّ خَلْفَهُ . وَ وَجَدَ جو نَفْسَهُ لا يَسْتَطيعُ تَحْريكَ ذِراعِهِ ؛ فَقَدِ اخْتَرَقَتِ السِّكّينُ جِلْدَ مِعْطَفِهِ السَّميكَ وَأَصابَتْ ذِراعَهُ .

وَأَخْرَجَ جو مِنْديلاً لَفَّ فيهِ السِّكّينَ ، حِرْصًا عَلى حِفْظِ أَيَّةِ بَصَماتٍ لِأَصابِعَ قَدْ تَكونُ عَلَيْها ، ثُمَّ انْتَصَبَ وَجَرى خِلالَ المَمَرِّ ، عَلى حينِ كانَ كارلو قَدِ اخْتَفى .

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ جو لِيَفْحَصَ جُرْحَهُ ؛ فَقَدْ كانَ مُتَأَكِّدًا بِأَنَّهُ لَيْسَ غائِرًا . وَما إِنْ وَصَلَ إِلى الشّارِعِ حَتّى اسْتَوْقَفَ سَيّارَةَ أُجْرَةٍ ، وَقالَ لِلسّائِقِ : « إِلى اسْكُتْلَنْد يارْد ، وَأَسْرِعْ مِنْ فَضْلِكَ .»

الفصل الثالث

ما إِنْ وَصَلَ جو إِلى اسْكُتْلَنْد يارْد حَتّى بادَرَ بِالسُّؤالِ عَنِ المُفَتِّشِ أَنْغُس ماكفرلين – وَهُوَ واحِدٌ مِنْ أَوْسَعِ المُخْبِرينَ شُهْرَةً . وَكانَ جو قَدْ عاوَنَهُ كَثيرًا مِنْ قَبْلُ ، وَكُلٌّ مِنْهُما يُكِنُّ لِلآخَرِ الوُدَّ وَالاحْتِرامَ .

سَأَلَ أَنْغُس : « ما الَّذي أَتى بِكَ ، يا جو ، في هَذا الوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ ؟ لَيْسَ لَدَيَّ – مَعَ الأَسَفِ – ما أَقُصُّهُ عَلَيْكَ اليَوْمَ .»

جَلَسَ جو ، ثُمَّ وَضَعَ السِّكّينَ فَوْقَ مَكْتَبِ المُفَتِّشِ وَهُوَ يَقولُ : « بَلْ أَنا الَّذي سَأَقُصُّ عَلَيْكَ المُغامَرَةَ هَذِهِ المَرَّةَ ! أَلْقِ نَظْرَةً عَلى هَذِهِ السِّكّينِ ، وَلَكِنْ لا تَلْمِسْها ؛ فَهِيَ تَحْمِلُ بَصَماتِ أَصابِعَ .»

وَلِلْوَهْلَةِ الأُولى لاحَظَ أَنْغُس وَجْهَ جو الشّاحِبَ ، وَالدَّمَ عَلى مِعْطَفِهِ ؛ فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ قائِلاً : « أَنْتَ مُصابٌ ، يا جو ! انْتَظِرْ ،

سَأَسْتَدْعي لَكَ طَبيباً .»

قالَ جو : « قَبْلَ أنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ ، أَرْسِلْ سَيّارَةَ الشُّرْطَةِ إلى نادي بلوك في بول مول ، لاسْتِدْعاءِ السَّيِّدِ بوب سلاتيري ، فَهُوَ سَيَعْرِفُ سَبَبَ اسْتِدْعائِهِ . لا تَنْسَ أنْ تُزَوِّدَ رِجالَكَ بِالسِّلاحِ ؛ فَهُوَ في خَطَرٍ . وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَيْكَ أنْ تَبْحَثَ عَنْ سَيّارَةِ جاغوار خَضْراءَ (XBZ 527 E) . وآخِرَ مَرَّةٍ رَأَيْتُها فيها حينَما كانَتْ تَنْتَظِرُ أمامَ البابِ الأماميِّ لِلنّادي . اِقْبِضْ عَلى الرِّجالِ بِداخِلِها ، فَهُمْ يَنْتَمونَ إلى عِصابَةِ لُصوصِ سَرِقَةِ الذَّهَبِ في أمْرِيكا .»

صاحَ أنْغُس : « ماذا ؟»

وَأَخَذَ جو ، وَالطَّبيبُ يَقومُ بِتَضْميدِ جُرْحِهِ ، يَقُصُّ حِكايَتَهُ عَلى أنْغُس ماكفرلين . وَكانَ موشِكاً عَلى الانْتِهاءِ مِنْها حينَ وَصَلَتْ رِسالَةٌ لاسِلْكِيَّةٌ مِنْ مَكْتَبِ الشُّرْطَةِ في بول مول ، فَحْواها : « كَما هُوَ مُتَوَقَّعٌ ، لَقَدِ اخْتَفَتِ الجاغوار .» وَقَدْ أَرْسَلَ أنْغُس وَصْفاً لَها وَلِكارلو إلى سَيّاراتِ الشُّرْطَةِ جَميعاً ، وَإلى كُلِّ مَكاتِبِ الشُّرْطَةِ في المَمْلَكَةِ .

قالَ أنْغُس : « سَوْفَ نُفَتِّشُ سوهو ، وَلكِنَّني أَشُكُّ في أنْ نَعْثُرَ

عَلى شَيْءٍ ؛ فَهؤلاءِ الرِّجالُ عَلى دَرَجَةٍ شَديدَةٍ مِنَ الذَّكاءِ . وَلا بُدَّ أَنَّهُمُ الآنَ في طَريقِهِمْ إلى نيو أورليانز بِطائِرَتِهِمُ الخاصَّةِ .» وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ كانَ بوب سلاتيري يَمْشي في مَكْتَبِ المُفَتِّشِ . وَأَلْقى أنْغُس ماكفرلين نَظْرَةً إلى النَّموذَجِ الذَّهَبِيِّ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إلى المَعْمَلِ . وَجاءَ تَقْريرُ المَعْمَلِ في الحالِ بِأَنَّ النَّموذَجَ مَصْنوعٌ حَقيقَةً مِنْ سَبيكَةِ ذَهَبٍ مَكْسيكِيٍّ . وَأَمْسَكَ أنْغُس بِالتِّليفونِ ، وَقالَ : « أَعْطِني مَكْتَبَ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ في واشِنْطُن .»

وَكَشَفَ حَديثُ ماكفرلين التِّليفونِيُّ إلى واشِنْطُن الكَثيرَ عَنْ كارلو مَنودُوتّي . فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّهُ أَحَدُ رِجالِ العِصاباتِ المَعْروفينَ لَدَيْهِمْ جَيِّداً . وَقالَ أنْغُس مُوَضِّحاً : « إنَّ مَكْتَبَ المَباحِثِ الاتِّحادِيَّ يَطْلُبُ مَنودُوتّي في عِدَّةِ جَرائِمِ سَرِقَةٍ ، وَجَرائِمَ أُخْرى خَطِرَةٍ . وَإنَّهُمْ عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّ مَنودُوتّي قاتِلٌ أَشِرٌ . وَقَبْلَ مُغادَرَتِكَ نيو أورليانز بِثَلاثِ ساعاتٍ ، وَجَدَ رِجالُ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ مَنودُوتّي في مَطْعَمٍ صَغيرٍ بِالحَيِّ الفَقيرِ مِنَ المَدينَةِ ، وَكانَ يَجْلِسُ مُنْفَرِداً إلى أَحَدِ المَوائِدِ ، وَبَدا واضِحاً أَنَّهُ يَنْتَظِرُ شَخْصاً ؛ إذْ إنَّهُ لَمْ يَطْلُبْ طَعاماً ، وَلَمْ يُلاحِظْ مَنودُوتّي رِجالَ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ الَّذينَ

جلسوا خلفَهُ يُراقِبونَهُ . وإنْ هِيَ إلا لَحظاتٌ حتّى دَخلَ المطْعمَ رَجُلٌ حَسَنُ الهِنْدامِ ، وَجلَسَ إلى مائدَةِ كارلو ، فَبادَرَهُ بِسُؤالِه : «هَلْ سَتَحْضُرُ روزا سانتوس ؟» رَدَّ الرَّجُلُ : «أجلْ ، خِلالَ دَقيقَةٍ .» وَفَجْأةً جرى النّادِلُ إليْهِما ، وَهَمَسَ في أُذُنِ كارلو مِنودُوتّي ؛ فَقفَزَ كارلو وَصَديقُهُ مُسْرِعَيْنِ إلى الجُزْءِ الخَلْفِيِّ مِنَ المَطْعَمِ . وأخْرَجَ رِجالُ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتّحادِيِّ أسْلِحَتَهُمْ وَجَرَوْا خَلْفَهُما ، وَفَتَّشوا المكانَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعثُروا علَيْهِما . لَقَدِ اخْتفى صاحِبُ المطْعَمِ وَالخَدَمُ ، وَكُلُّ مَنْ فيهِ .»

سَأَلَ جو : «هَلْ عَرَفَ رِجالُ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتّحادِيِّ اسْمَ صَديقِ كارلو ؟»

أجابَ أنْغُس : «أجَلْ ، اسْمُهُ هايمن ديكسون ، وَهُوَ رَجُلٌ يَتَمتَّعُ بِالثَّراءِ الفاحِشِ ، ويَمتَلِكُ أسْطولاً . وَأسْرَعَ رِجالُ الشُّرْطَةِ إلى مَنْزِلِ ديكسون ، وَلكِنَّ الوَقْتَ كانَ قَدْ فاتَ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ أحَدٌ .»

سَأَلَ جو : «وَماذا عَنْ روزا سانتوس ؟»

أجابَ أنْغُس : «ذَلِكَ هُوَ الغَريبُ ! فهايمن لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلا أخَواتٌ ، وَأصْدِقاؤُهُ يَقولونَ إنَّهُ يَكْرَهُ النِّساءَ .»

وَنظَرَ أنْغُس إلى مُفكِّرَتِهِ ثُمَّ أرْدَفَ : «وَلكِنَّ رِجالَ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتّحادِيِّ اكْتَشَفوا حَقيقَةً هامَّةً ؛ وَهِيَ أنَّ هايمن ديكسون كانَ قَدْ تَعَوَّدَ الذَّهابَ إلى مَدينَةِ مكسيكو ، وَالنُّزولَ دائِماً في نَفْسِ الفُنْدُقِ . وَقَدْ رَآهُ أحَدُ خَدَمِ الفُنْدُقِ مَعَ امْرَأةٍ فاحِمَةِ الشَّعْرِ في رُكْنٍ هادِئٍ مِنَ الحَديقَةِ . وَقالَ إنَّها امْرَأةٌ حَسْناءُ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أنْ يُعْطِيَ وَصْفاً دَقيقاً لَها .»

قالَ جو : «يا لَها مِنْ لُغْزٍ تِلْكَ المَرْأةُ ذاتُ الشَّعْرِ الفاحِمِ !»

رَدَّ أنْغُس : «نَعَمْ ، إنَّ رِجالَ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتّحادِيِّ وَشُرْطَةَ المِكْسيكِ قَدْ تَبادَلا مَعْلوماتٍ هامَّةً عَنْ تِلْكَ السَّيِّدَةِ الغامِضَةِ . وَتَعْتَقِدُ شُرْطَةُ المِكْسيكِ أنَّها زَعيمَةُ عِصابَةٍ في مَدينَةِ مِكْسيكو . أمّا مَكْتَبُ المَباحِثِ الاتّحادِيُّ فَيَعْتَقِدُ الآنَ ...»

صاحَ جو مُضيفاً : «... أنَّها وَهايمن ديكسون هُما رَأْسُ عِصابَةِ لُصوصِ الذَّهَبِ !»

قالَ أنْغُس : «نَعَمْ ، وَهُمْ يَعْتَقِدونَ أيْضاً أنَّ ديكسون وَسانتوس أرْسَلا مِنودُوتّي لِيَتَوَلّى أمْرَ السَّيِّدِ سلاتيري .»

قَفَزَ جو صائِحاً : « حَسَنٌ ، سَوْفَ أَتَّصِلُ هاتِفِيًّا بِدِك كليغ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَنْ يُمانِعَ الآنَ في ذَهابي إلى نيو أورليانز ...»

قاطَعَهُ أَنْغُس قائِلاً : « لَعَلَّ ذِراعَكَ لا تُؤْلِمُكَ كَثيراً !»

وَكانَ جو يَتَأَلَّمُ مِنْ جُرْحِهِ ، وَلكِنَّهُ ضَحِكَ قائِلاً : « هَذا لا شَيْءَ . فَأَنْتَ تَعْرِفُني ، يا أَنْغُس !»

اِبْتَسَمَ أَنْغُس قائِلاً : « أنا أَعْرِفُكَ تَماماً .» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى بُوب سلاتيري وَقالَ لَهُ : « وَأَنْتَ ، يا سَيِّدي ، هَلْ تُوافِقُ عَلى أَنْ تَعودَ إلى نيو أورليانز إذا دَعَتِ الضَّرورَةُ .»

رَدَّ بُوب قائِلاً : « أنا ؟ وَلِماذا يَسْتَدْعونَني ؟»

أَجابَهُ أَنْغُس : « لأَنَّكَ رَأَيْتَ الصّائِغَ .»

صاحَ جو : « يُمْكِنُ أَنْ نُسافِرَ مَعًا .»

قالَ أَنْغُس ماكفرلين : « اِنْتَظِرْ ، يا جو ، لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ مِنودُوتّي سَفّاحٌ . وَلكِنَّ الشَّيْءَ الَّذي لَمْ أَذْكُرْهُ لكَ هُوَ أَنَّ مِنودُوتّي يَكْرَهُ الفَشَلَ مَرَّتَيْنِ . وَلَقَدْ فَشِلَ في أَنْ يُصيبَكَ في سُوهُو .»

صاحَ جو : « نَعَمْ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِذا رَآني كارلو أسيرُ في شَوارِعِ نيو أورليانز ...»

قاطَعَهُ أَنْغُس بِقَوْلِهِ : « هَذا صَحيحٌ ، فَإِنَّهُ سَيُكَرِّرُ المُحاوَلَةَ ، كَما يَعْتَقِدُ رِجالُ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحاديِّ .»

قالَ جو : « اتَّصِلْ فَوْراً بِمَطارِ لَنْدَن .»

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ حينَ اسْتَرَدَّ جو عافِيَتَهُ ، كانَ هُوَ وَبُوب عَلى مَتْنِ أَوَّلِ طائِرَةٍ إلى نيويورك ، وَمِنْ هُناكَ طارا مُباشَرَةً إلى نيو أورليانز . وَاسْتَقْبَلَهُما ماكس بريسبورجر مَنْدوبُ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحاديِّ مُرَحِّبًا بِقَوْلِهِ : « إنّي لَسَعيدٌ بِمَعْرِفَتِكُما .»

وَكانَ ماكس بريسبورجر رَجُلاً ضَخْماً مُرَبَّعَ الوَجْهِ ، ذا شَعْرٍ أَشْقَرَ قَصيرٍ لِلْغايَةِ ، وَكانَ قَميصُهُ الأَبْيَضُ مَفْتوحاً .

قالَ بريسبورجر : « لا شَكَّ أَنَّ الطَّقْسَ هُنا أَفْضَلُ مِنْهُ في لَنْدَن .»

وَ وافَقَهُ الإنْجليزِيّانِ عَلى رَأْيِهِ . وَكانَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَتَخَلَّلُ سَماءً زَرْقاءَ صافِيَةً ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَديدَةَ الحَرارَةِ . وَقَدْ هَبَطَتِ

الطَّائِرَةُ على مَقْرَبَةِ كيلومترٍ تَقْريباً مِنْ مَبْنى المَطارِ ، حَيْثُ تَنْتَظِرُ سَيّارَةٌ ، نَوافِذُها ذاتُ زُجاجٍ سَميكٍ .

قالَ بريسبورجر مُوَضِّحاً : « يَجِبُ أَنْ نكونَ في مُنْتَهى الحَيْطَةِ . لَقَدْ أَحْضَرْتُ لكُما أَيْضاً صِدارَيْنِ لا يَخْتَرِقُهُما الرَّصاصُ . إِنَّ مِنودُوتّي حين يُطْلِقُ الرَّصاصَ ؛ فَغالباً لا يُخْطِئُ هَدَفَهُ ، وَهَدَفُهُ دائِماً هُوَ القَلْبُ . »

وَمَضَتْ بِهِما السَّيّارَةُ خِلالَ طُرُقٍ طَويلَةٍ ، تُظَلِّلُها الأَشْجارُ الباسِقَةُ . وَرَغْمَ أَنَّهُ كانَ شَهْرَ يَنايِرَ ، فَقَدِ امْتَلأَتْ حَدائِقُ المَنازِلِ الكَبيرَةِ ذاتُ الأَلْوانِ الزّاهِيَةِ بِالشُّجَيْراتِ وَالأَشْجارِ المُزْهِرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْصِلُ بَيْنَ المَنازِلِ أَسْوارٌ ، كَما لا توجَدُ بَوّاباتٌ خارِجِيَّةٌ ، مِمّا دَعا جو إلى أَنْ يُرَدِّدَ لِنَفْسِهِ : « هَذا يُعْطي انْطِباعاً بِالصَّداقَةِ أَكْثَرَ مِمّا في إِنْجِلْترا . »

وَفي مَنْزِلٍ مِنْ أَضْخَمِ هذِهِ المَنازِلِ كانَ رِجالُ الشُّرْطَةِ مُنْتَشِرينَ عَلى الحَشائِشِ وَالمَمَرّاتِ الجانِبِيَّةِ .

قالَ ماكس : « هَذا وَكْرُ ديكسون . »

وَانْعَطَفوا إلى شارِعِ القَناةِ – قَلْبِ نيو أورليانز الصّاخِبِ . وَبَعْدَ

عِدَّةِ بِناياتٍ انْحَرَفوا مَرَّةً أُخْرى ، ثُمَّ مَضَوْا إلى مَبْنى شُرْطَةِ المَدينَةِ ، الَّذي يَقَعُ في القِسْمِ الفَرَنْسِيِّ مِنْها ، وَقالَ ماكس : « سَوْفَ لا نَكونُ مَوْضِعَ تَرْحيبٍ كَبيرٍ ؛ فَشُرْطَةُ المَدينَةِ لا تَميلُ إلى مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ ؛ لأَنَّها تَرى أَنَّنا نَعْمَلُ على إِلْغاءِ اسْتِقْلالِهِمْ ! »

وَلَكِنَّ ماكس كانَ مُخْطِئاً هَذِهِ المَرَّةَ ؛ فَقَدْ أَبْدى رَئِيسُ الشُّرْطَةِ سُرورَهُ البالِغَ بِرُؤْيَةِ مَنْدوبِ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ . وَكانَ أَحَدُ رِجالِهِ قَدِ اخْتُطِفَ .

وَقالَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ مُوَضِّحاً : « إِنَّهُ كانَ يَسيرُ في الشّارِعِ عَلى مَقْرَبَةِ مَنْزِلَيْنِ ، وَفَجْأَةً وَقَفَتْ سَيّارَةٌ بِجانِبِهِ ، وَفُتِحَ بابُها ثُمَّ سُحِبَ إلى داخِلِها . وَانْطَلَقَتِ السَّيّارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَقْصى سُرْعَتِها . »

صاحَ ماكس : « هَذِهِ أَفْعالُ مِنودُوتّي . »

وَنَظَرَ جو إلى بوب نَظْرَةً خاطِفَةً ، فَقالَ الأَخيرُ : « رُبَّما يَكونُ هَذا الشُّرْطِيُّ هُوَ الَّذي ذَهَبَ مَعي إلى حانوتِ الصّائِغِ . »

سَأَلَ ماكس رَئِيسَ الشُّرْطَةِ : « هَلْ لَدَيْكَ صورَةٌ لَهُ ؟ »

أَجابَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ : « بِالتَّأْكيدِ ، فَهُوَ فَتًى لَطيفٌ ، وَلَهُ زَوْجَةٌ

وَطِفْلانِ .»

وَضَعَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ عَلى مَكْتَبِهِ صورَةً فوتوغرافِيَّةً لِلشُّرْطِيِّ ، يَرْجِعُ تاريخُها إلى سَنَواتٍ قَليلَةٍ خَلَتْ . وَكانَتْ تُمَثِّلُ الشُّرْطِيَّ وَهُوَ واقِفٌ بَيْنَ أَفْرادِ أُسْرَتِهِ بِدونِ الزِّيِّ الرَّسْمِيِّ .

صاحَ بوب مِنْ فَوْرِهِ : « إِنَّهُ هُوَ ! »

وَلَمْ يَسْتَطِعْ كُلٌّ مِنْ رَئيسِ الشُّرْطَةِ وَماكس إِخْفاءَ دَهْشَتِهِما .

قالَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ : « حَسَنٌ ! »

سَأَلَ ماكس : « هَلْ تَعْتَقِدُ ، يا سَيِّدُ سلاتيري ، أَنَّ بِإِمْكانِكَ التَّعَرُّفُ على مَحَلِّ الصّائِغِ مَرَّةً أُخْرى ؟»

أَجابَ بوب : « أَجَلْ ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ . إِنَّهُ بِجِوارِ مَطْعَمِ أَنْطوان . وَلا يَبْعُدُ عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ دَقائِقَ سَيْراً عَلى الأَقْدامِ .»

قالَ ماكس : « فَلْنَذْهَبْ إِذاً .»

وَرَكِبَ كُلٌّ مِنْ جو وَبوب وَماكس سَيّارَةَ مَكْتَبِ المَباحِثِ الاتِّحادِيِّ المُصَفَّحَةَ ، وَرَكِبَ أَيْضاً رَئيسُ الشُّرْطَةِ ، وَبِصُحْبَتِهِ سِتَّةٌ مِنْ

رِجالِهِ ، سَيّارَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ، وَانْطَلَقوا إِلى مَطْعَمِ أَنْطوان . وَمِنْ هُناكَ تَعَرَّفَ بوب عَلى مَحَلِّ الصّائِغِ بِدونِ عَناءٍ ، وَكانَ مُغْلَقاً ، وَتُغَطّي نَوافِذَهُ وَبابَهُ عَوارِضُ خَشَبِيَّةٌ ، وَكَذَلِكَ بَوّاباتِ الفِناءِ العالِيَةَ .

وَتَحَدَّثَ ماكس مِنْ خِلالِ اللاسِلْكِيِّ إِلى رَئيسِ الشُّرْطَةِ بِالسَّيّارَةِ الخَلْفِيَّةِ قائِلاً : « لا تَتَحَرَّكِ الآنَ ، فَرُبَّما يَكونُ كارلو بِالدّاخِلِ .»

وَفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ لَفَتَ نَظَرَ جو شَيْءٌ يَلْمَعُ في ضَوْءِ الشَّمْسِ ، فَوْقَ السَّطْحِ المُسْتَوي لِمَبْنًى عَبْرَ الطَّريقِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلى ماكس قائِلاً : « أَعْتَقِدُ أَنَّ كارلو يَقِفُ هُناكَ ؛ فَإِنّي أَلْمَحُ بُنْدُقِيَّةً .»

نَظَرَ ماكس إِلى السَّطْحِ مِنْ خِلالِ مِنْظارِهِ المُقَرِّبِ ، وَقالَ : « لا ، لَيْسَتْ بُنْدُقِيَّةً ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَسَأَقومُ بِتَفْتيشِ المَبْنى .»

كانَ المَبْنى خالِياً ، وَقَدْ قامَ بِتَفْتيشِهِ ثَلاثَةٌ مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ مِنْ أَدْناهُ إِلى أَعْلاهُ ، كَذَلِكَ تَسَلَّقَ شُرْطِيٌّ السَّطْحَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى شَيْءٍ .

قالَ ماكس : « حَسَنٌ ! سَوْفَ نَدْخُلُ إِلى حانوتِ الصّائِغِ . وَأَنْتَ ، يا سَيِّدُ بروك ، عَلَيْكَ أَنْ تَمْشِيَ خَلْفَنا ، فَمِنْ واجِبي أَنْ

أحْميكَ ؛ فلَوْ كانَ كارلو بِالدّاخِلِ فَسَوْفَ يُبادِرُ بِتَصْويبِ بُنْدُقيّتِه نَحْوكَ !»

وَنزَلَ الجميعُ مِنَ السّيّاراتِ ، واتّجهوا بِبُطءٍ نَحْوَ مَحلّ الصائغ . وَفجْأةً توقّفَ جو وتلفّتَ حوْلَه ، ثُمّ نظرَ إلى سطْحِ المبنى مرّةً أخْرى ، وَفي الحالِ انْطَلَقَ الرّصاصُ مِنْ بُنْدُقيّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لدى جو الوَقْتُ الكافي لِلابْتِعادِ ، فاصْطَدَمَتِ الطّلَقاتُ بِصِدارِهِ الواقي فَوْقَ قَلْبِهِ ، وَأطاحتْ قُوّةُ الطّلقاتِ بِهِ إلى الخَلْفِ . وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ فَتَحَتِ الشُّرْطَةُ النّارَ ، وَاقْتَحمتِ المَبْنى ، وَلَكِنّ الوَقْتَ كانَ قَدْ فاتَ ، واخْتَفى كارلو مِنودُوتّي .

قالَ ماكس لِجو : « لا شكّ أنّكَ كُنْتَ على حَقٍّ ، فَمِنودُوتّي كانَ مُخْتَبِئًا هُناكَ طيلَةَ الوَقْتِ .»

الفصل الرابع

كانَ لِبابِ مَحلّ الصّائغ قُفْلٌ ثَقيلٌ ؛ فَأطْلَقَ رئيسُ الشُّرْطَةِ النّارَ على القُفْلِ فَفُتِحَ البابُ ، وَانْطَلَقَ رِجالُهُ إلى الدّاخِلِ . وَقامَ اثْنانِ آخَرانِ بِتَحْطيمِ بَوّابَةِ الفِناءِ ، وَلَكِنّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى أحَدٍ . وَكانَ واضِحاً أنّ رِجالَ العِصابَةِ قَدْ فَرّوا في سُرْعَةٍ خاطِفَةٍ . وَنَظَرَ بوب سلاتيري حَوْلَه بِدَهْشَةٍ ، وَصاحَ : « إنّهُمْ لَمْ يُفْرِغوا الخَزائِنَ الزُّجاجيّةَ ، وَلَكِنّ رائِحَةَ زَيْتِ الآلاتِ لا تَزالُ نَفّاذَةً حَتّى الآنَ . انْظُروا هُناكَ إلى ذلِكَ البابِ ، إنّهُ مَفْتوحٌ .» وَجَرى نَحْوَهُ .

وَأمَرَهُ ماكس بِالتّريُّثِ قائلاً : « قَدْ يَكونُ ثَمّ شَخْصٌ مُسَلّحٌ بِالدّاخِلِ .»

وَالْتَفَتَ إلى رِجالِ الشُّرْطَةِ المُتأهّبينَ قائلاً : « اتْبَعوني .»

وَقادَهُمْ مَمَرٌّ مُظْلِمٌ إلى بِضْعِ دَرَجاتٍ ، وَأسْفَلَ هَذِهِ الدّرَجاتِ

كانَ ثَمَّ بابٌ مَفتوحٌ . وَحينَ وَصَلَ ماكس إلى أعْلى الدَّرجاتِ ، وَقَفَ وَنادى الشُّرْطِيَّ خَلْفَهُ ، وَكانَ مُسَلَّحًا بِسِلاحٍ مِنْ نَوْعٍ خاصٍّ . وَأَمَرَهُ ماكس بِأَنْ يُصَوِّبَ بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَ دَرَجاتِ السُّلَّمِ ، ثُمَّ صاحَ : « أُخْرُجْ وَإلّا سَنَسْتَخْدِمُ الغازَ ! سَوْفَ أَعُدُّ إلى عَشْرٍ .» وَعَدَّ ماكس إلى عَشْرٍ ، ولكِنْ ما مِنْ مُجيبٍ عَلى الإطْلاقِ .

قالَ ماكس بَعْدَ بِضْعِ ثَوانٍ : « سَوْفَ نَقْتَحِمُ المكانَ ، وَإنْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يوجَدُ هُناكَ أَحَدٌ .» وَاقْتَحَمَ ماكس وَرَئيسُ الشُّرْطَةِ أَوَّلاً ، وَتَبِعَهُما رِجالُ الشُّرْطَةِ ، ثُمَّ جو وَبوب . وَفَجْأَةً تَوَقَّفوا جَميعاً ، وَصاحَ ماكس بِدَهْشَةٍ : « لَقَدْ كانوا في وَرْشَةِ لُصوصِ الذَّهَبِ . وَكانَتْ ثَمَّةَ أَكْوامٌ هائِلَةٌ مِنَ النّيكَلِ ، وَكانَ التِّبْرُ يُغَطّي كُلَّ شَيْءٍ . كَما وَجَدوا عَشَراتٍ مِنْ نَماذِجِ مَبْنى الإمباير ستيت .

وَكانَ جو هُوَ الَّذي اكْتَشَفَ سَبيكَةَ الذَّهَبِ الأولى . وَقَدْ وَجَدَها في الرُّكْنِ المُعْتِمِ لِلْمَمَرِّ الَّذي يَنْتَهي إلى الفِناءِ . وَعَثَرَ رِجالُ البوليسِ الَّذينَ فَتَّشوا الفِناءَ عَلى سَبيكَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ .

قالَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ : « السُّؤالُ الآنَ هُوَ : أَيْنَ بَقِيَّةُ سَبائِكِ الذَّهَبِ ؟»

قالَ ماكس : « عَلى ظَهْرِ قارِبٍ . أنا مُتأَكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ .»

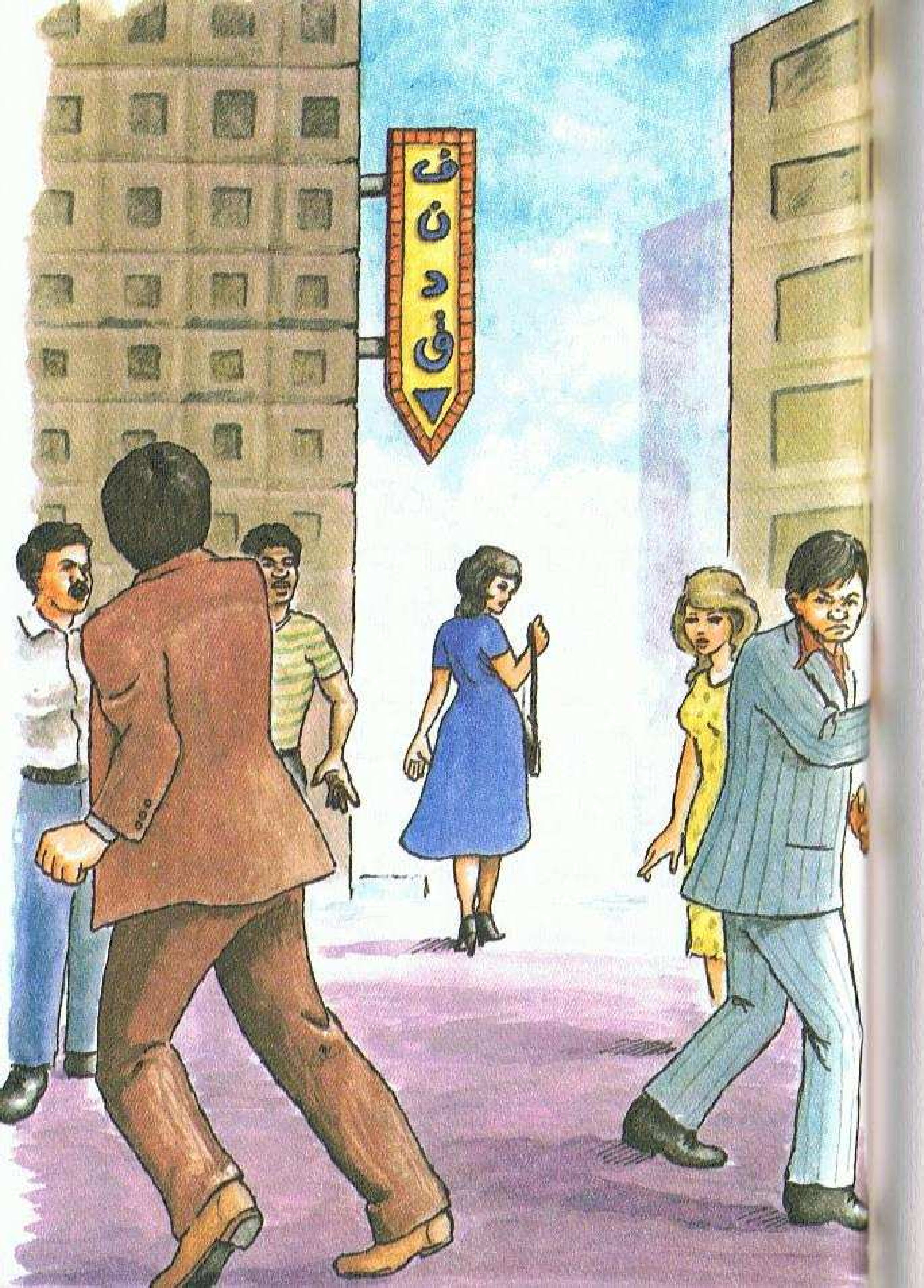
قالَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ عابِساً : « سَوْفَ يَكونُ مِنَ الصَّعْبِ الوُصولُ إلَيْهِمْ ؛ فَالماءُ يُحيطُ بِهَذِهِ المَدينَةِ : نَهْرُ المِسيسِبّي وَالبُحَيْراتُ ، وَكُلُّ الأنْهارِ الصَّغيرَةِ ؛ فَمِنْ أَيْنَ نَبْدَأُ ؟»

أجابَ ماكس : « مِنْ أرْصِفَةِ الميناءِ ، فَتَقاريرُنا تَقولُ إنَّ آلافَ النَّماذِجِ مِنْ مَبْنى إمباير ستيت قَدْ تَسَرَّبَتْ مِنْ نيو أورليانز عَنْ طَريقِ البَحْرِ خِلالَ السَّنَتَيْنِ الماضِيَتَيْنِ . وَاسْتَطاعَتِ العِصابَةُ – عَلَناً – أَنْ تُهَرِّبَ كَنْزَها خارِجَ أمْريكا . وَالآنَ يَعْمَلونَ عَلى إخْفائِهِ .»

صاحَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ : « سَوْفَ نَقومُ بِتَفْتيشِ كُلِّ سَفينَةٍ تَرْسو عَلى الأرْصِفَةِ ، لَيْسَ فَقَطْ الَّتي تُغادِرُ المِسيسِبّي إلى البَحْرِ ، بَلْ أيْضاً الَّتي تَدْخُلُ إلَيْهِ .»

قالَ ماكس : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ ، لا بُدَّ أَنْ نُسْرِعَ ؛ فَإنَّ ديكسون ذَكِيٌّ ، وَيَسْتَطيعُ أَنْ يَأْخُذَ الذَّهَبَ إلى شيكاغو وَالبُحَيْراتِ العُظْمى ، ثُمَّ يَعْبُرَ بِهِ إلى كَنَدا .»

وَكانَ حَشْدٌ كَبيرٌ يَنْتَظِرُ خارِجَ حانوتِ الصّائِغِ . وَنَظَرَ جو إلى النّاسِ بِاهْتِمامٍ . كانَ السُّيّاحُ مَشْغولينَ بِكاميراتِهِمْ . وَ وَقَفَتْ مَجْموعاتٌ مِنَ الزُّنوجِ جانِباً ، وَأَخَذَ أَفْرادُها يَتَحَدَّثونَ في صَخَبٍ . وَكانَ ثَمَّ رِجالٌ شُقْرٌ ، كَما كانَ بَعْضُ النّاسِ سودَ الشَّعْرِ ، وَيَتَحَدَّثونَ



الإسْبانِيَّةَ . وَكَثيرٌ مِنَ الفَتَياتِ كُنَّ حَسْناواتٍ ، وَلٰكِنَّ واحِدَةً بِعَيْنِها هِيَ الَّتي لَفَتَتْ نَظَرَ جو . كانَ شَعْرُها أَسْوَدَ قَصيراً ، وَ وَجْهُها الأَسْمَرُ في غايَةِ البَهاءِ ، وَلٰكِنَّهُ صارِمُ القَسَماتِ . وَكانَتْ تَرْتَدي ثَوْباً أَزْرَقَ مِنَ القُطْنِ . وَفَجْأَةً لاحَظَ جو وُجودَ قِطْعَةٍ مِنَ اللُّصوقِ خَلْفَ أُذُنِها اليُسْرى . وَتَفَرَّسَ مَرَّةً أُخْرى في وَجْهِها ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى ماكس قائِلاً : « تِلْكَ الفَتاةُ الَّتي هُناكَ ، هَلْ تَعْرِفُها ؟»

وَنَظَرَ إِلَيْها ماكس ، ثُمَّ قالَ : « لا ، وَلٰكِنْ لِماذا تَسْأَلُ ؟»

قالَ جو وَهُوَ بادي الاضْطِرابِ : « لَقَدْ رَأَيْتُها مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ في لَنْدَن . وَكانَ شَعْرُها أَشْقَرَ مُسْتَرْسِلاً . وَلٰكِنّي مُتَأَكِّدٌ أَنَّها نَفْسُ الفَتاةِ ، نَفْسُ المَلامِحِ وَاللُّصوقِ .»

وَفَجْأَةً انْطَلَقَتْ نيرانُ بُنْدُقِيَّةٍ ، وَصاحَ شُرْطِيٌّ : « إِنَّ مَنودُوتي هُناكَ !»

وَفي الحالِ تَرَكَ ماكس جو ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ رَجُلِ الشُّرْطَةِ . وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ يَعودَ ماكس كانَتِ الفَتاةُ قَدِ اخْتَفَتْ بَيْنَ الجُمْهورِ المُحْتَشِدِ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ جو فَجَرى خَلْفَ الفَتاةِ . وَاعْتَقَدَ في البِدايَةِ أَنَّهُ فَقَدَ أَثَرَها ، وَلٰكِنَّهُ سَرْعانَ ما رَأى الرِّداءَ الأَزْرَقَ مَرَّةً أُخْرى . إِنَّها روزا . لَقَدْ كانَ موقِناً مِنْ ذٰلِكَ . كانَتْ تَمْشي مُسْرِعَةً مُتَسَتِّرَةً

بِظِلالِ المنازِلِ القَديمَةِ . وَتَساءَلَ جو مُتَعَجِّبًا عمّا إذا كانَ هايمن ديكسون يَنْتَظِرُها في أَحَدِ هَذِهِ المَنازِلِ . وَلَكِنَّ رُوزا مَضَتْ في طَريقِها دونَ تَوَقُّفٍ . وَمَرَّتْ بِالمَداخِلِ الإسْبانِيَّةِ القَديمَةِ ، وَمِنْ خِلالِها رَأى جو الحَدائِقَ المَليئَةَ بِالأَزْهارِ وَالأَشْجارِ الباسِقَةِ .

وَمَضَتْ رُوزا في طَريقِها ، حَتّى وَصَلَتْ إلى السُّوقِ الفَرَنْسِيَّةِ . وَكانَ النّاسُ يَحْتَسونَ القَهْوَةَ خارِجَ المَحَلّاتِ الَّتي تُقَدِّمُها . وَامْتَلأَتِ المَمَرّاتُ الجانِبِيَّةُ بِالفَنّانينَ الجالِسينَ وَالواقِفينَ . وَاصْطَدَمَتْ رُوزا وَهِيَ تَمُرُّ بِلَوْحَةٍ لأَحَدِ الفَنّانينَ ، فَصاحَ الرَّجُلُ مُوَجِّهًا لَها بَعْضَ العِباراتِ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَأْبَهْ بِهِ .

وَأَخيرًا عَرَّجَتْ مُتَّجِهَةً صَوْبَ النَّهْرِ ، وَكانَتْ رائِحَتُهُ قَدْ زَكَمَتْ أَنْفَ جو مُنْذُ قَليلٍ ، وَصافَحَ نَظَرَهُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ مَرْأى النَّهْرِ العَظيمِ المُتَّسِعِ البُنِّيِّ اللَّوْنِ – المِسيسِبّي . وَاسْتَطاعَ أَنْ يَرى الجِسْرَ الجَديدَ العَظيمَ الَّذي يَعْمَلُ بِالقُوى المُحَرِّكَةِ . وَبَدَتِ السُّفُنُ الَّتي كانَتْ تَمُرُّ أَسْفَلَهُ كَلُعَبِ الأَطْفالِ .

وَحينَ وَصَلَتْ إلى النَّهْرِ تَوَقَّفَتْ ، وَقَدْ بَدا عَلَيْها القَلَقُ . وَتَلَفَّتَتْ حَوْلَها ، فَاخْتَبَأَ جو خَلْفَ سَيّارَةٍ . وَمَرَّتْ سَيّارَةُ أُجْرَةٍ أَرادَ سائِقُها أَنْ يَقِفَ حينَ رَآها ، وَلَكِنَّ رُوزا هَزَّتْ رَأْسَها بِالرَّفْضِ .

وَعِنْدَما أَوْشَكَ الطَّريقُ أَنْ يَخْلُوَ مِنَ المارَّةِ ، جَرَتْ إلى قارِبٍ صَغيرٍ بِمُحَرِّكٍ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نادَتِ اسْمَ شَخْصٍ ، وَقَفَزَتْ إلى سَطْحِهِ .

وَتَساءَلَ جو : « ما الَّذي عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ الآنَ ؟» وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يُقْلِقُهُ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ رُوزا مَرَّةً أُخْرى ، وَأَخَذَتْ تُمْعِنُ النَّظَرَ إلى ساعَتِها ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْها أَماراتُ الغَضَبِ العارِمِ . وَنَظَرَت إلى أَعْلى وَأَسْفَلِ الرَّصيفِ ، وَخُيِّلَ لِجو أَنَّها تُريدُ أَنْ تُناديَ شَخْصًا ما ، وَلَكِنَّها مُضْطَرِبَةٌ . وَفَجْأَةً لاحَظَتْ وُجودَ مَلْهًى لَيْلِيٍّ عِنْدَ ناصِيَةِ شارِعٍ عَلى بُعْدِ عِدَّةِ مَبانٍ . وَهَمَسَتْ رُوزا لِنَفْسِها بِشَيْءٍ ، ثُمَّ مَضَتْ كالرِّيحِ صَوْبَ المَلْهى .

وَتَصَرَّفَ جو مِنْ فَوْرِهِ ، فَأَخَذَ هُوَ أَيْضًا يَعْدو . وَكانَ ثَمَّةَ صَفّانِ مِنَ السَّيّاراتِ الواقِفَةِ بِحِذاءِ الرَّصيفِ بِالقُرْبِ مِنَ القارِبِ . وَأَيْقَنَ جو أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَراهُ مِنْ رُوّادِ المَلْهى . وَقَفَزَ جو مِنْ سَطْحِ القارِبِ ، وَنَزَلَ إلى الكابينَةِ الصَّغيرَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْتَبِئَ داخِلَها ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ بابًا في مُؤَخِّرَتِها فَفَتَحَهُ ، وَكَشَفَ ذَلِكَ عَنْ دولابٍ

ضَخْمٍ لِلْعُدَدِ وَالحِبالِ ، فَصَعِدَ إلى داخِلِه ، ثُمَّ أَغْلَقَ البابَ خَلْفَهُ ، وَأَخْفى نَفْسَهُ تَحْتَ كَوْمَةٍ مِنَ الحِبالِ .

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ قَليلَةٍ سَمِعَ جو وَقْعَ أَقْدامٍ وَصَوْتَ رَجُلٍ يَقولُ : « لَقَدْ صَوَّبْتُ هَذِهِ المَرَّةَ في القَلْبِ تَماماً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقَعْ ! إنَّه لَيْسَ آدَميا عَلى الإطْلاقِ !»

وَكانَ واضِحاً أَنَّ كارلو ثَمِلٌ ، وَكانَتْ رُوزا جِدَّ غاضِبَةٍ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَقالَتْ لَهُ : « اِهْدَأْ أَيُّها السِّكّيرُ ! لَقَدْ قُلْنا : لا قَتْلَ . وَأَنْتَ حاوَلْتَ مَرَّتَيْنِ قَتْلَ بروك ، إحْداهُما في لَنْدَن ، وَالآنَ هُنا . سَوْفَ يَجْلِبُ عَلَيْكَ هَذا غَضَبَ السَّيِّدِ ديكسون . وَالآنَ امْضِ .»

رَدَّ كارلو : « إنَّكِ لَسْتِ إلا امْرَأَةً ، وَأَنا لا أَسْمَعُ لِلنِّساءِ . سَوْفَ أَقْتُلُ هَذا الإنْجليزِيَّ وَلَوْ ...»

قاطَعَتْهُ رُوزا في بُرودٍ وَجَفاءٍ وَغِلْظَةٍ ، قائِلَةً : « لَنْ تَسْتَطيعَ !»

صاحَ كارلو : « لا ! لا تُصَوِّبي !»

وَهَكَذا كانَ مَعَ رُوزا بُنْدُقِيَّةٌ أَيْضاً ! وَسَقَطَ حَبْلٌ في نَهْرِ

المِسيسِبِّي ، وَبَدَأَتِ الآلاتُ تَدورُ . وَسَمِعَ صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ انْدِفاعِ المِياهِ حينَ يُبْحِرُ قارِبٌ مُبْتَعِداً عَنِ الرَّصيفِ .

وَكانَ الظَّلامُ حالِكاً لِلْغايَةِ داخِلَ الدّولابِ ، وَحارا لِدَرَجَةٍ لا تُطاقُ . وَتَنَفَّسَ جو بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ ، وَقَدِ انْتابَ الأَلَمُ رِجْلَهُ اليُمْنى ، وَآلَمَتِ الحِبالُ الثَّقيلَةُ ظَهْرَهُ . كانَتِ الضَّوْضاءُ المُنْبَعِثَةُ مِنَ الآلَةِ فَظيعَةً ، وَتَساءَلَ جو مُتَعَجِّباً : « تُرى هَلْ هُوَ مُوشِكٌ عَلى الإغْماءِ ؟» وَلَكِنْ ما لَبِثَتِ الآلَةُ أَنْ تَوَقَّفَتْ ، وَصاحَ شَخْصٌ : « هُنا ! أَمْسِكْ هَذا الحَبْلَ .»

وَأَمَرَتْ رُوزا كارلو قائِلَةً : « اسْتَمِرَّ في إمْساكِهِ !» ثُمَّ سَمِعَها جو تَقولُ في صَوْتٍ خَفيضٍ : « لَقَدْ وَجَدوا السَّفينَةَ ، يا ديكسون .»

وَرَدَّ صَوْتٌ يَبْدو أَنَّ صاحِبَهُ مِنَ الجَنوبِ ، قائِلاً : « لا تَقْلَقي ! سَوْفَ لا يَجِدونَ شَيْئاً حَتّى وَلَوْ فَتَّشونا . نَحْنُ مُسْتَعِدّونَ لِلرَّحيلِ . اصْعَدا إلى سَطْحِ السَّفينَةِ .»

وَانْتَظَرَ جو بِضْعَ ثَوانٍ ، ثُمَّ اسْتَطاعَ بَعْدَ لأْيٍ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدّولابِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَرى مِنْ خِلالِ الكابينَةِ أَنَّ القارِبَ ذا

المُحرِّكِ كانَ مُلاصِقًا لِسَفينَةٍ ضَخْمَةٍ ، كانَتْ تَرْسو على رَصيفٍ في قَلْبِ ميناءِ نيو أورليانز .

وَلَمْ يَكُنْ أمامَ جو بَديلٌ سِوى السِّباحَةِ لِيَصِلَ إلى اليابِسَةِ . وَنَظَرَ إلى الجانِبِ التّالي لِلسَّفينَةِ ، وَلَمْ يَرَ أحَدًا .

وَخَلَعَ صِدارَهُ الواقِيَ ، وَأسْقَطَهُ بِهُدوءٍ في نَهْرِ المِسيسِبِّي ، وَهَبَطَ مِنْ جانِبِ القارِبِ ، ثُمَّ أخَذَ يَسْبَحُ تَحْتَ الماءِ ، وَرَفَعَ رَأسَهُ فَوقَ الماءِ ثَلاثَ مَرّاتٍ لاسْتِنْشاقِ الهَواءِ . وَكانَ يَتَساءَلُ في كُلِّ مَرَّةٍ : « تُرى هَلْ هُناكَ مَنْ سَيُطْلِقُ النّارَ ؟» وَلكِنْ – مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ – لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ . وَأمْكَنَهُ أنْ يَرى سَفينَةً بريطانِيَّةً مُحَمَّلَةً بِالقُطْنِ ، وَرَآهُ بَحّارٌ فأنْزَلَ حَبْلاً إلى جانِبِها ، وَتَسَلَّقَهُ جو إلى سَطْحِها .

قالَ جو لِلْبَحّارِ : « اسْتَدْعِ الشُّرْطَةَ بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُكَ !»

وَبَعْدَ عَشْرِ دَقائِقَ كانَ جو يَقُصُّ مُغامَرَتَهُ على ماكس وَرَئيسِ الشُّرْطَةِ ؛ وَكانا يَقومانِ بِتَفْتيشِ سَفينَةٍ تَبْعُدُ كيلومترًا تَقْريبًا .

صاحَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ : « يا لَهُ مِنْ فَتًى ، وَأيُّ فَتًى ! كَيْفَ لا أشْعُرُ بِالسُّرورِ لِمَرْآكَ ، يا سَيِّدُ بروك ؟»

وَأعْطى الأوامِرَ لِرِجالِهِ قائِلاً : « الرَّصيفُ رَقْمُ ٤٧ س. س. فريدوم . وَلكِنْ خُذوا حِذْرَكُمْ ، أيُّها الشَّبابُ ؛ فَإنَّهُمْ بِالتَّأكيدِ مُسَلَّحونَ .»

(صحيفة نيو أورليانز بوست)

حادِثُ السَّطو على الذَّهَبِ – تَفْتيشُ السُّفُنِ في المَرافِئِ وَلا أثَرَ لِلعِصابَةِ

لَقَدِ انْتَهى رِجالُ الشُّرْطَةِ الآنَ مِنْ تَفْتيشِ السَّفينَةِ فريدوم مِنْ أدْناها إلى أقْصاها ، وَتَمَّ اسْتِجْوابُ رُبّانِ السَّفينَةِ ، وَجَميعِ الضُّبّاطِ وَالبَحّارَةِ . وَالرُّبّانُ رَجُلٌ مِنْ نيو أورليانز مَعْروفٌ وَعلى خُلُقٍ . وَكانَتْ سَفينَتُهُ تَحْمِلُ قُطْنًا مِنْ نيو أورليانز إلى لِيفَرْبول . وَلَمْ تَجِدِ الشُّرْطَةُ عَلى مَتْنِ السَّفينَةِ ذَهَبًا ، وَلَمْ تَعْثُرْ عَلى أحَدٍ مِنْ عِصابَةِ ديكسون .

وَقالَ رُبّانُ السَّفينَةِ : « لا شَكَّ أنَّ السَّيِّدَ بروك قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ الأمْرُ ؛ فالسَّيِّدُ ديكسون لَمْ تَطَأْ قَدَمُهُ سَفينَتي عَلى الإطْلاقِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ لي مُجَرَّدُ رُؤْيَتِهِ .»

وَلكِنَّ السَّيِّدَ بروك كانَ مُتَأكِّدًا تَمامًا أنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً ، وَقَدْ وَصَفَ القارِبَ ذا المُحَرِّكِ الَّذي حَمَلَهُ إلى المَرْفَأ . وَهذا القارِبُ لَمْ يُعْثَرْ عَلَيْهِ بَعْدُ .

آخِرُ الأنْباءِ :

قَبَضَتِ الشُّرْطَةُ عَلى هايمن ديكسون ، وَرُوزا سانتوس ، وَكُلِّ أفْرادِ العِصابَةِ . وَتُقَدَّرُ سَبائِكُ الذَّهَبِ الَّتي وُجِدَتْ عَلى السَّفينَةِ فريدوم بِمِلْيونِ دولارٍ .

وَيَرْقُدُ المَنْدوبُ الصَّحَفِيُّ الإنْجليزِيُّ جو بروك ، وَاثْنانِ مِنْ رِجالِ البوليسِ في المُسْتَشْفى ، وَقَدْ أصيبوا بِجِراحٍ في قِتالٍ بِالبَنادِقِ على سَطْحِ السَّفينَةِ .

وَتَحَدَّثَ مُراسِلُنا الصَّحَفِيُّ إلى رَئيسِ شُرْطَةِ المَدينَةِ ، فَقالَ : « لَقَدْ كُنّا أنا وَالسَّيِّدُ بريسبورجر مُتَأكِّدَيْنِ مِنْ صِدْقِ رِوايَةِ جو بروك ؛ وَلِذا فَقَدْ أخْفَيْنا عِشْرينَ مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ في المَباني القَريبَةِ مِنَ السَّفينَةِ فريدوم ، كَما راقَبْنا السَّفينَةَ مِنْ خِلالِ المَناظيرِ المُقَرِّبَةِ وَلكِنَّنا لَمْ نُلاحِظْ شَيْئًا غَيْرَ عادِيٍّ ، وَكانَ مَعَنا جو بروك .

« وَفي السّاعَةِ العاشِرَةِ وَالدَّقيقَةِ الخامِسَةِ وَالخَمْسينَ اخْتَفى جو . وَبَعْدَ دَقيقَتَيْنِ ، رَأَيْناهُ يَجْري نَحْوَ السَّفينَةِ فريدوم ، وَكانَتْ مُوشِكَةً عَلى الإِبْحارِ ، وَلا يَزالُ يَتَدَلّى مِنْها حَبْلٌ واحِدٌ . وَرَأَيْنا جو يَتَسَلَّقُ ذَلِكَ الحَبْلَ ، وَيَقْفِزُ عَلى سَطْحِها . وَقَدْ رَآهُ رُبّانُ السَّفينَةِ وَبَعْضُ رِجالِها أَيْضًا ، فَقَبَضوا عَلَيْهِ .

« وَفَجْأَةً انْطَلَقَتْ بُنْدُقِيَّةٌ ، وَسَقَطَ السَّيِّدُ بروك ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ انْفَتَحَ بابٌ خَفِيٌّ مِدْخَنَةِ السَّفينَةِ ، وَانْدَفَعَ مِنودوتّي خارِجًا وَهُوَ يَصيحُ بِوَحْشِيَّةٍ : « لَقَدْ قَتَلْتُهُ ! »

« وَلَمْ يَنْتَظِرْ رِجالُنا الأَوامِرَ ، فَهاجَموا فريدوم عَلى الفَوْرِ . وَأَطْلَقَ مِنودوتّي النّارَ مَرَّةً أُخْرى ، وَأَصابَ اثْنَيْنِ مِنّا . وَرَدَّ رِجالُنا عَلَيْهِ ، فَأُصيبَ مِنودوتّي في ذِراعِهِ وَسَقَطَتْ بُنْدُقِيَّتُهُ . وَتِلْكَ كانَتْ نِهايَةَ القِتالِ بِالبَنادِقِ ؛ فَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ خَرَجَ هايمن ديكسون مِنَ المِدْخَنَةِ رافِعًا عَلَمًا أَبْيَضَ .

« وَكانَتِ الغُرْفَةُ السِّرِّيَّةُ بِالمِدْخَنَةِ هِيَ المَكانَ الَّذي يَخْتَفي فيهِ كُلُّ أَفْرادِ عِصابَةِ ديكسون . وَكانَ الرُّبّانُ وَبَعْضُ البَحّارَةِ يَعْرِفونَ السِّرَّ ، وَلَكِنَّ ديكسون كانَ يَدْفَعُ لَهُمْ بِسَخاءٍ .

« والآنَ يَتَساءَلُ كُلُّ شَخْصٍ في نيو أورليانز مُتَعَجِّبًا : « هَلْ كانَ جو بروك يَعْلَمُ أَنَّ كارلو مِنودوتّي سَوْفَ يُطْلِقُ النّارَ ؟ وَهَلْ صَعِدَ رَغْمَ ذَلِكَ عَلى سَطْحِ السَّفينَةِ فريدوم ؟ »

« وَلَمْ تَكُنْ إِصابَةُ السَّيِّدِ بروك خَطِرَةً . وَلَكِنْ عِنْدَما سَأَلَهُ مُراسِلُنا في المُسْتَشْفى عَمّا يَفْعَلُهُ ، أَجابَهُ مُبْتَسِمًا : « إِنَّني أَكْتُبُ قِصَّةَ مُغامَرَتي ! » »



الحكايات البوليسية



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198503